مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
العدد السادس – المجلد الثالث
يونيو 2019 م
ISSN: 2522- 3380

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

The fields of Fitrah: analytical study in the light of Holy Quran

Hanadi Issa Muhanna

University of Prince Sattam bin Abdul Aziz || KSA

Abstract: This Research aims to study the fields of Fitrah in the Holy Quran. The researcher used qualitative research methodology, the researcher concluded the following results: Quran indicates that the whole universe and all creatures are a field of Fitrah, whether Visible or invisible, which can be classified into the fields of general systems of Fitrah and the specialized systems of Fitrah, The research concluded that there is a relationship between general and specialized systems in the fields of Fitrah The researcher recommended conducting further studies on Fitrah ,and Inclusion of Fitrah as a subject of psychological, social, religious and natural Research Centers.

Keywords: The Holy Quran- fields of Fitrah.

مجالات الفطرة: دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم

هنادي عيسى مهنا

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز || المملكة العربية السعودية

الملخص: هدف هذا البحث إلى دراسة مجالات الفطرة في ضوء القرآن الكريم وقد استخدمت الباحثة منهج البحث النوعي، طريقة التحليل التفسيري للمحتوى، وخلصت الباحثة إلى النتائج التالية: أكد القرآن الكريم أن الكون كله وجميع المخلوقات هي مجال للفطرة سواء أكانت مرئية أو غير مرئية والتي يمكن تصنيفها إلى مجالات النظم العامة للفطرة ومن أمثلتها (الذاكرة الكونية، السلاسل والدورات الحيوية، التكاثر والنمو، الجغرافيا والسمات العامة لتواجد الكائنات، النظم النفسية والاجتماعية، والسنن الكونية) أما مجالات النظم المتخصصة للفطرة فمن أمثلتها (النظم في الشخصية الإنسانية، الحيوانات، النباتات والجمادات)، كما خلص البحث إلى وجو علاقة بين النظم العامة والمتخصصة في مجالات الفطرة.

وقد أوصت الباحثة بإجراء مزيد من الدراسات في مجالات الفطرة كل على حده كما توصي بإدراج موضوع الفطرة كموضوع أصيل بمراكز البحوث النفسية والاجتماعية والدينية والطبيعية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم- مجالات الفطرة.

1- المقدمة:

لا شك أن البحث في مجال الفطرة يعتبر من المداخل المهمة التي تعمل على تطوير العلوم الإنسانية وكذلك المجالات العلمية ذات الصلة بالسلوك الإنساني، والتعرف على مفاهيم الفطرة الإنسانية يتيح للعلم التفسير الصحيح لمكنونات النفس البشرية؛ مما قد يسهم في فهم أنماط التفاعل بين الإنسان وما يحيط به من كائنات أخرى في بيئته الحياتية. يرى (جون ديوي، 1963) أن علم النفس التقليدي الخاص بالشعور والعقل والروح هو في حقيقته انعكاس للظروف التي تفصل طبيعة الإنسان عن علاقاتها الطبيعية الموضوعية، مما جعله بعيدا عن الفطرة الإنسانية- فكان لزاما على علماء النفس البحث عن مبادئ فطرية لينطلق منها علم النفس الحديث.

إن التعرف على فطرة الكائنات من الأساسيأت الضرورية لتقدم البشرية فاكتساب القدرات اللازمة للإبداع والابتكار لن يأخذ مساره الطبيعي إذا جهل الإنسان فطرة الأشياء من حوله، وهذا ما أشار إليه (ابن عاشور، 1984) بقوله: "الحضارة الحق من الفطرة لأنها من آثار حركة العقل الذي هو من الفطرة، وأنواع المعارف الصالحة من الفطرة لأنها نشأت من تلاقح العقول وتفاوضها، والمخترعات من الفطرة لأنها متولدة من التفكير، وفي الفطرة حب ظهور ما تولّد من الخلقة".

والفطرة كغيرها من المفاهيم الخاصة بطبيعة الكائنات- خاصة البشرية منها- لم تزل في بداية سلم البحوث العلمية الجادة إذا ما قورنت بالمفاهيم الكمية التي أحرزت سبقا كبيرا في مجال البحث العلمي ويؤكد (زغبوش، 2015) أن تأثير كل من البرمجة الوراثية والسياق البيئي على نمو الكفاءة وتطورها، يشكل إشكالية في العلوم الحديثة مبينا أن كفاءات الرضيع مثلا هي القدرة الفعالة على توظيف الاستعدادات (aptitudes) الحسية والحركية للفعل في بيئته. وبذلك تكون معبرا لابد منه للكشف عن الكفاءات، وهذا مرتبط بإبداع الباحث ومهاراته البحثية نظريا ومنهجيا.

الفطرة بلفظها الصريح قد تم تناولها في البحوث الدينية- خاصة تلك التي تهتم بالتربية الإسلامية وفلسفتها- أما البحوث الخاصة بالمجالات الطبيعية والاجتماعية فلا نكاد نجد فيها الفطرة بلفظها الصريح ولكن أحيانا يتم استخدام مفردات مختلفة تشير دلاليا إلى مفهوم الفطرة. ومعظم العلماء- الذين يعتقدون بوجود الفطرة- يرون أن المسارات التي تنطوي عليها الدوائر الفطرية متخصصة للغاية ومحددة وتشارك الأجهزة المختلفة والمستقبلات الحسية في العمليات المعقدة، كما يرون أن الغريزة هي ظاهرة يمكن التحقيق فيها من زوايا عديدة: علم الوراثة، ونظام الحواف، والممرات العصبية، والبيئة. ويؤكدون أن هناك مستويات من الغرائز- من الجزيئية إلى مجموعات من الأفراد التي يمكن دراستها كذلك. وقد تطورت أنظمة متخصصة للغاية لدراسة السلوكيات غير المتعلمة لدى الأفراد، فالسلوك الفطري (Innate behavior) هو جانب مهم ومثير للاهتمام من العالم البيولوجي (Sobolewski , Katie, 2012).

إن البحوث والدراسات التي تناولت مظاهر السلوك الفطري الإنساني كان معظمها سطحيا أو مبني على أساس منعكسات قد يعتبرها البعض غير منطقية حيث اشتملت على نوع محدد من السلوك البشري اللا- إرادي مثل منعكس الرضاعة ومنعكس الركبة وبعد ذلك قام بعض العلماء بإضافة اللغة كمنعكس فطري، ففي مؤلفه غريزة اللغة ((The Language Instinct) افترض ستيفن بينكر (Steven Pinker,1994,7) أن الملَكة اللغوية للإنسان هي نزعة فطرية أو سلوك فطري يتشكل عن طريق التكيف مع احتياجات الاتصالات لدى البشر.

والفطرة من الموضوعات التي لم يتفق عليها معظم العلماء- كأصل للحياة- فمنهم من يرفض فكرة الأصول الغيبية للوجود ومنهم من يعتبرها موضوعا دينيا بحتا- يجب حصره في البحوث والمعارف الدينية- ومنهم من أعطى موضوع الفطرة مساحة في أبحاثه ولكن باعتبارها جانبا في الشخصية يمثل اللاشعور ولقد تعرض مفهوم الفطرة إلى كثير من التحويرات فبينما هي أصل الخلقة أو قابليات واستعدادات موجودة في الفرد عند معظم العلماء المسلمين نجد المفهوم قد تم تناوله على أساس أنه (كفاءة عامة) أو حس عام (Common Sense)، أو الغريزة (Instinct)، أو المنعكسات (Reflexes)، كما لا يوجد اتفاق على معنى المصطلحات التي تشير إلى الفطرة؛ فنجد كل علم يتم فيه استخدام المصطلح بالطريقة التي تناسب الطرح مما قد يؤدي إلى التباين بين أهداف البحوث ونتائجها اذ قد تؤدي الفجوة ما بين الفطرة والتعلم مثلا إلى خلل أساسي في نتيجة البحث العلمي خاصة في المجالات الإنسانية والاجتماعية.

لقد انتقد كثيرا من العلماء وضع البحث العلمي الحالي الذي يميل إلى الجانب المادي الحسي ويهمل الجانب الغيبي في العلوم والمعارف، ففي كتابه الإنسان ذلك المجهول انتقد (اليكسيس، 2003) نتائج البحث العلمي في البحوث التي تعتمد على الحس ووصفها بعدم المصداقية ومنافاتها لطبيعة الحياة المزدوجة(النفس والروح)، كما انتقد (بدري، 1995، 62) في كتابه التفكر من المشاهدة إلى الشهود ؛ النظريات النفسية وعلم النفس المعاصر المستند على الجانب الحسي المقاس بأنه بلا عقل وبلا روح)، كما أورد(جوجرس وآخرون، 2016)، في مؤلفهم العلم وأصل الإنسان أن النظرية التطورية قد قللت من قيمة الإنسان وفشلت في تفسير التنوع الاحيائي كما فشلت في تفسير أصل الإنسان كمادة بعيدا عن الروح والعقل وقد استشهد الكاتب بالنقد الذي وجهه (الفريد راسل والاس)للنظرية التطورية من أن الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يفسر العقل البشري وأنه لابد من تواجد ذكاء متحكم يراقب عمل قوانين الطبيعة ويوجه عملية إنتاج العقل البشري بروعته، وبناء على هذا الافتراض ظهرت نظرية التصميم الذكي التي تفترض وجود مصمم ذكي وهي أقرب إلى النظرية الإسلامية ؛التي تؤمن بوجود خالق لهذا الكون هو الله بديع السموات والأرض.

مشكلة البحث:

لقد سبق القرآن الكريم العلوم الحديثة في توضيحه لأصل وسنن الخلق وحدد الفطرة كنظام مؤسس ومنظم للحياة وتتفق الباحثة مع (ابن عاشور) في أن معنى الفطرة الوارد في القرآن لم يجد من أتقن الإفصاح عنه، وفي ظل غياب محاور كافية من الدراسات والبحوث التي تؤصل لموضوع مجالات الفطرة نجد أن كثيرا من المسلمين مبهورون بالنظريات الغربية التي تضع افتراضاتها عن أصل الحياة ونظام الكون وفقا لأيدولوجيات فلسفية تعبر عن محدودية نظرتهم للكون؛ بدءا بالنظرية التطورية لداروين وانتهاء بنظرية التصميم الذكي. والجدير بالذكر أن عملية الترويج لهذه الأفكار اعتمدت على جودة تصميم الكتاب وجاذبية نشره وتكثيف الدعاية له عبر مراكز البحوث والجمعيات البحثية وكذلك عبر أجهزة الإعلام المختلفة- خاصة الإعلام الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي-، من هنا استشعرت الباحثة المشكلة وتشكلت لديها دافعية قوية للبحث عن مجالات الفطرة في المصادر العربية وغير العربية وكانت النتيجة محبطة، فالموضوع رغم أهميته يعتبر نادرا في المكتبة العربية، فمعظم الأبحاث العلمية العربية لا تهتم ببناء الفروض على أساس تضمين الفطرة كمصطلح علمي أو كبنية معرفية للمشكلات البحثية، فظهرت لدينا الإشكاليات البحثية حيث تعجز النتائج عن تفسير الفروض لأن البناء الفلسفي للبحوث غالبا ما يتبنى نظم ومبادئ بحثية غير إسلامية من هنا نشأت الحاجة إلى البحث في مجالات الفطرة في ضوء القرآن الكريم من خلال الإجابة عن السؤال الافتراضي الرئيس التالي:

- ما هي مجالات الفطرة؟

ويتفرع عنه السؤالان الآتيان:

أ- ما حدود مجالات النظم العامة للفطرة؟

ب- ما مجالات النظم المتخصصة للفطرة؟

أهداف البحث:

هدف هذا البحث لبيان مجالات الفطرة في القرآن الكريم المتمثلة في:

أ- مجالات النظم العامة للفطرة.

ب- مجالات النظم المتخصصة للفطرة.

الأهمية النظرية للبحث:

على المستوى النظري يعتبر هذا البحث مهم للآتي:

أ- يؤصل لموضوع الفطرة الإلهية التي تعتبر من أهم موضوعات العلوم التي تشكل النظام الحقيقي المتكامل الذي يعنى بوجود واستمرارية الكائنات في الكون.

ب- يسعى لبيان الفطرة كمعرفة قرآنية ذات علاقة بأصل الإنسان والحياة والكون.

ج- يحدد الإطار النظري والمفاهيمي لمجالات الفطرة.

د- يوضح العلاقة التكاملية بين مجالات الفطرة..

الأهمية التطبيقية للبحث:

أ- يسعى البحث الحالي للوصول إلى معرفة علمية عن مجالات الفطرة يمكن الاستفادة منها لوضح حدود معرفية للتداخل المفاهيمي لمصطلحات كالوراثة والفطرة والفطرة والاكتساب والفطرة والتعلم.

ب- تصميم برامج تعزز الفطرة السليمة لدى الأفراد في تفاعلهم مع الكائنات في البيئة المحيطة وذلك بتحديد دور كل من النظم العامة والمتخصصة في التفاعل.

ج- تصميم الكتب والمناهج المدرسية وفقا لمبادئ وخصائص الفطرة بمختلف مجالاتها.

حدود البحث:

أ- الموضوعية: اقتصر هذا البحث على موضوع " مجالات الفطرة في القرآن الكريم".

ب- المصدرية: القرآن الكريم والسنة النبوية والكتب والبحوث التي تناولت موضوع الفطرة.

ج- المنهجية: استخدمت الباحثة منهج البحث النوعي طريقة التحليلي التفسيري للمحتوى الذي يعنى بإعطاء معنى للبيانات من خلال ربطها ببعضها والنظر لها من زوايا مختلفة واكتشاف العلاقات بينها.

د- الزمنية: 1440 هـ

مصطلحات البحث:

- **أولا تعريف القرآن الكريم:** لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: أن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿17﴾فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿18﴾(القيامة: 17، 18) ثم نقل هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم (الزرقاني، بدون، 11/1)
- ويعرف القرآن اصطلاحيا بأنه اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس (الزرقاني، بدون، 14/1)
- أما اجرائيا المقصود به الآيات القرآنية الدالة على الفطرة ومجالاتها لفظا أو معنى.
- **ثانيا تعريف الفطرة:** ورد في لسان العرب (ابن منظور، 1414هـ) "فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه: شقه .وتَفَطَّرَ الشيءُ: تشقق، والفَطْر: الشق، وجمعه فُطُور .وفي التنزيل العزيز: هل ترى من فُطُور" ؛ وقد عرف (مجمع اللغة العربية، 2011، 694) الفطرة بأنها إيجاد الله للخلق ابتداء ، وهي: مجموع الاستعدادات والميول والغرائز التي تولد مع الإنسان دون أن يكون لأحد دخل في إيجادها .- استعدادا لإصابة الحُكم والتَّمييز بين الحق والباطل
- **التعريف الاصطلاحي:** يعرفها (ابن عاشور، 1978، 57) بأنها: " النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسداً وعقلاً، فمشيُ الإنسان برجليه فطرة جسديه ومحاولته أن

يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية".

- كما عرفها (عبد الرحمن، 2012، 51- 52) بأنها الذاكرة الغيبية/الأصلية التي تحتفظ بماض له صلات بعالم الغيب، وهي سبب القدرة على التشهيد.
- **التعريف الاجرائي:** تعرف الباحثة الفطرة العامة بأنها النظام الأساسي للخلق المهيأ للاستجابة للمنظومات الكونية المختلفة عبر الآليات الذاتية والبيئية. أما الفطرة الإنسانية فهي النظام الأساسي للمكونات الشخصية اللا- إرادية (الجسمية والنفسية والمعرفية والاجتماعية والسلوكية) المهيئ لاستجابات التعلم والاكتساب في إطار المنظومة الكونية.

الدراسات السابقة:

1. **دراسة (المطوع، 2016):** هدفت الدراسة لمعرفة مفهوم شخصية الإنسان وسماتها والعلاقة بينهما، ونظرة التربية الإسلامية لها، والعلاقة بينها وبين النظرة المادية، ومعرفة مكونات الشخصية الإنسانية، وعلاقتها بمكونات الإنسان. واعتمد الباحث المنهج الوصفي. وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:
   1. الآراء متعددة حول مفهوم شخصية الإنسان ومكوناتها لكنها متفقة من ناحية بنية الإنسان الجسمية ومكوناته الحسية والبدنية. والشخصية الإنسانية كل متكامل يعني بالإضافة لمكوناته المادية تنظيم الفرد الأفكار والمعتقدات والميول والاتجاهات والقيم والعادات والتقاليد والبيئة التي نظمها- في ضوء الفطرة- في شكل سمات وسلوك وخلق قلبي وقولي وفعلي يتخلقه في تعامله مع ربه ونبيه ودينة ونفسه ومع الإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة. ويكون لهذا التنظيم ثبات نسبي يمتاز به الفرد عن غيره.
   2. تعد السمات الشخصية أساس دراسة الشخصية وهي أكبر من مجرد السلوك ذلك أن السمات هي كل ما يميز الفرد أو الجماعة عن غيره من صفة أو علامة جسمية أو عقلية أو خلقية أو سلوكية أو انفعالية او اجتماعية وتتميز بالثبات النسبي ويمكن تمييزها،
2- **دراسة (الشنقيطي، 2013):** هدفت إلى تعريف الدين لغة ومفهوما، وبيان ماهيته والعناصر الجوهرية والعرضية فيه والبحث في أصل نزعة التدين عند البشر في أصولها الوجدانية والعقلية وجوانب الفطرة والاكتساب فيها وحضور فكرة الالوهية والخلود والموت في الثقافة الإنسانية، وقضايا الحرية والمسئولية والجزاء، والعلاقة بين الدين والعلم، والدين والفلسفة، استخدم الباحث المنهج التحليلي وقد توصل إلى التالي:
   - أهمية القدرة على فهم الظاهرة الدينية فهما موضوعيا والتفكير فيها تفكيرا حرا ناضجا.
   - حدد مكونات الظاهرة الدينية وميز بين العنصر الخالد والعنصر التاريخي منها.
   - استخلص العلاقة بين أهمية الدين وأثره العميق في مسيرة الإنسانية وحضارتها ومصائرها.
   - أثبت علاقات التأثير والتأثر بين الدين ومختلف جوانب الحياة الإنسانية الأخرى.
   - أكد على العلاقة بين القدرة على التأمل في ارتباط مصير الإنسانية ومعنى وجودها بالدين.
3- **دراسة (زغبوش، 2012):** هدف هذا البحث للكشف عن كيفية معالجة ذهن الطفل للمعطيات التي يستقبلها من الواقع، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ومن أهم النتائج التي توصل اليها:
   1. تتم معالجة المعلومات التي يستقبلها الطفل من خلال مستويين: مستوى البنيات المعرفية الفطرية الكونية المشتركة بين الأفراد ومستوى الخصوصيات الفردية في معالجة المعطيات بشكل متفرد، وفق متغيرات السياق (اللغوي، والاجتماعي، والثقافي .

2. إن التفاعل بين هذين القطبين هو الذي يوجه سيرورة معالجة المعرفة وبنائها وجهة تحقق التغاير في نمو الأطفال.
3. وعلى اعتبار أن الطفل نتيجة بنية عصبية وبيولوجية، وفي الوقت نفسه يتفاعل مع ثقافة محيطه، فيمكن اعتبار نموه نموا بيولوجيا وثقافيا في أن واحد.

4- **دراسة (عطاء الله**، 2011): هدفت إلى بيان مفهوم الفطرة والتعرف على خصائصها في الإسلام، كما هدفت إلى الكشف عن الدلالات التربوية لمفهوم الفطرة وعرض تصور مقترح لتعزيز دور الفطرة في التربية، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي –أسلوب تحليل المحتوى، ومن أهم النتائج التي توصلت اليها:

أ- معنى كلمة فطرة في القرآن الكريم تتفق مع معانيها في المعاجم اللغوية وأن معظم علماء المسلمين فسر الفطرة بأنها الإسلام. وأن الناس مفطورون على التوحيد والخير وما يطرأ عليهم من انحراف وفساد يرجع لأسباب خارجية.

ب- فطرة المولود تستلزم الإقرار بالله الخالق ولاتعني أن المولود يولد وهو يعلم الدين.

ج- خصائص الفطرة التي تتوافق مع خصائص الدين الإسلامي، و أن نزعة الفطرة الإنسانية خيرة.

5- **دراسة (النادر، 2007):** هدفت إلى الكشف عن أصل العواطف والميول النفسية الفطرية الأولية للإنسان والتي تركت الأثر العاطفي والروحي الأشد في حضارته، كما تناولت الدراسة البعد الديني الغائر في النفس البشرية والفطرة الأساسية المحرضة لظهوره والتي تعتبر أكثر الدوافع الواعية على الإطلاق استخدم الباحث المنهج التحليلي وقد توصل الباحث إلى أن مصطلح الفطرة لا يقصد به معنى دينياً- على الإطلاق- بل كناية عن فطرة وإحساس الإنسان بالوعي كحالة عاطفية بإدراك الإحساس بالوجود وبالانتماء إلى الكون واخذه للشكل الديني لاحقا كما وضحت الدراسة علاقة الفطرة بهاجس الموت ولعنة الجسد وكذلك علاقتها بالحضارة الإسلامية.

6- **دراسة (منور**، 2005) هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الفطرة ومدلولها اللغوي والشرعي، وتوضيح مدى مراعاة التشريع الإسلامي لهذا المفهوم ومدى صلته بالمصادر التشريعية الإسلامية وعلاقتها بها وبيان انعكاس هذه الرعاية والاهتمام حال التثبت من وجودها على الفروع والأحكام الشرعية .استخدم الباحث المنهج التحليلي من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

أ- تعدد المعاني التي ذكرها العلماء لتفسير معنى لفظ: (فطرة) فمن قولهم إنها: الإسلام، وهو رأي معظم السلف، البداءة، الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه، عهد الله في عالم الذر إلى بني آدم، الإخلاص، الفقر والاحتياج إلى الله عز وجل، وخلاصة التوحيد.

ب- تحديد المراد بالفطرة باعتبارها مصطلحاً قرآنياً خاصاً بأنها: النظام التكويني الذي أوجده الله تعالى في كل مخلوق منذ إنشاء خلقه، وتستمد معناها من مدلولها اللغوي «الخلق أو ابتدائه»، فيما تكتسي دلالتها الاصطلاحية القرآنية من خلال انتمائها إلى الإسلام، أما الفطرة الإنسانية، فهي: جملة الطباع والميول والغرائز والمبادئ والأسس العقلية والقيم التي جبل الله تعالى عليها النوع الإنساني وميزه بها عن سائر المخلوقات .. فهناك (فطرة الأشياء) أو (فطرة الوجود) بالنسبة لجميع المخلوقات في هذا الكون، ومن ضمنها الإنسان.

ج- تمحور مفهوم "الفطرة" عند الفلاسفة حول قضية افتطار الإنسان على الخير أو الشر أو على كليهما، وقد خلصت إلى أن الرؤية الإسلامية في هذا الصدد تجعل من كل من الخير والشر مبدأين أصيلين مرتكزين في الفطرة الإنسانية، مجال عمل "الفطرة" يتحدد بدائرتين اثنتين: إحداهما: دائرة المجال الجمعي، ودائرة المجال الفردي، وذلك على مستويين: أحدهما اعتقادي والثاني قيمي.

د- تمثل الفطرة أهم الطرق التي يمكن من خلالها الكشف عن مقاصد الشريعة وتحديدها.

7- دراسة (Jeffrey C. Hall, Michael Rosebush and Michael W. Young, 2017):

هدفت الدراسة إلى الكشف عن آلية عمل الساعة البيولوجية في الكائنات الحية وقد استخدم الباحثون المنهج التجريبي اهم النتائج التي توصلوا اليها: البروتين الذي يتراكم في الخلية خلال الليل، ومن تقل مستوياته خلال النهار. كما اثبتت الدراسة أن للساعات البيولوجية في ذبابة الفاكهة وظيفة من قبل نفس المبادئ في خلايا أخرى بالكائنات متعددة الخلايا، بما في ذلك البشر. وأظهروا أن هذا الجين يعمل بدقة على مدار الساعة الداخلية لدينا ويتكيف مع وظائف الأعضاء في مراحل مختلفة من اليوم. وتنظم الساعة وظائف حاسمة مثل السلوك، ومستويات الهرمون، والنوم، ودرجة حرارة الجسم والتمثيل الغذائي. عندما يكون هناك عدم تطابق مؤقت بين البيئة الخارجية لدينا ونظم الساعة البيولوجية يزيد خطر الإصابة بالأمراض المختلفة.

8- دراسة (Rising. A, and & Johansson.J, 2014):

هدفت الدراسة إلى تحديد آلية انتاج حرير العناكب من البروتين باستخدام المنهج التجريبي حيث تمت الدراسة على عينة من العناكب وتوصلت الدراسة إلى أن سبيدرويز (البروتينات التي تتحول إلى حرير يجب تحويل من شكل قابل للذوبان إلى الألياف الصلبة في درجات الحرارة المحيطة، مع الماء كمذيب، وبسرعة عالية.) هي بروتينات كبيرة تصل إلى 3500 الأحماض الأمينية، ولكن البروتينات الأكثر أهمية لتحويل سيبدرون إلى الحرير هي نهايات هذه المناطق النهائية من البروتينات وهي فريدة من نوعها إلى حرير العنكبوت وهي متشابهة جدا بين العناكب المختلفة. سبيدرويز لديها هيكل حلزوني وغير مرتبة عند تخزينها كبروتينات قابلة للذوبان في الغدد الحريرية، ولكن عند تحويلها إلى الحرير يتغير هيكلها تماما ليعطي درجة عالية من الاستقرار الميكانيكي ويتسم الحرير المنتج فطريا بخفة الوزن وهو اقوى وأكثر صلابة من الفولاذ.

9- **دراسة (Elizabeth D. Hutchins&etal: 2014,):**

هدفت الدراسة إلى معرفة الكيفية التي يتم بها تجديد خلايا الذيل للسحالي حيث تفقد ذيلها عندما تشعر باقتراب حيوان مفترس وتتطلب عملية البناء بطريقة فطرية أكثر من أكثر من 60 يوما، استخدم الباحثون المنهج التجريبي وتم اعتماد السحلية الخضراء كعينة للتجربة ومن اهم النتائج التي توصل اليها الباحثون:

- تحديد آلية تجديد خلايا الذيل بتحديد الجينات المسؤولة والتي يبلغ عددها 326 حيث يكمن دورها في تنشيط آليات إصلاح وتجديد الخلايا، كما كانت هناك جينات لها دور في تنشيط الاستجابة لحالة فقدان الذيل، والسيطرة على الإفرازات الهرمونية.
- كشف تحليل استنساخ الجينات الموجودة في الحمض النوويDNA إلى حمض ريبوز نوويRNA ، على تحديد الجينات المسؤولة عن تركيب هرمونات الغدة الدرقية حيث يشير هذا إلى وجود صلة بين تجديد الذيل والتغييرات التي تحدث للعضلات والعظام أثناء عملية التحول.
- عندما تفقد سحلية ذيلها يتم تنشيط جينات وخلايا خاصة لإعادة بنائه من جديد. ويأمل العلماء من خلال هذه العملية في تطبيق نتائجها لتجديد الغضاريف أو العضلات.

10- (Ron .S& Nick. W, 2013)

الهدف من هذا البحث هو استكشاف العمليات الضمنية والصريحة في تشكيل الأنماط السلوكية المميزة للفرد، من خلال. الأسئلة المطروحة وهي كيف يمكن فصل العمليات النفسية إلى أنواع ضمنية أخرى واضحة، وقد ركز الباحث على دور الغريزة والحدس (نوعين من العمليات الضمنية في الغالب) في تحديد الشخصية. استخدم الباحث المنهج التجريبي وتم تنفيذ النهج كنموذج حسابي.. وقد تم التوصل إلى معرفة كيف يمكن للهندسة المعرفية

التمييز بين الضمني والصريح من مكونات الغريزة، والحدس في والشخصية. وقد توصل إلى أن الشخصية يمكن أن تستند أساسا إلى الغرائز الناتجة عن الدوافع البشرية الأساسية، جنبا إلى جنب مع العمليات ذات الصلة، ضمن بنية معرفية شاملة.

تعليق الباحثة على الدراسات السابقة:

تباينت موضوعات الدراسات السابقة وأهدافها ما بين الكشف عن مدلولات الفطرة قي القران الكريم إلى النواحي الفطرية على المستوى النفسي والبيولوجي، استخدمت معظم الدراسات العربية المنهج الوصفي التحليلي الذي يرتكز على استقراء النصوص وتحليلها، بينما تم استخدام المنهج التجريبي في الدراسات الأجنبية .توصلت الدراسات إلى نتائج مهمة فقد توصلت دراسة (**المطوع**) إلى أن الأفكار والمعتقدات والميول والاتجاهات والقيم والعادات والتقاليد والبيئة تنتظم في ضوء الفطرة- في شكل سمات وسلوك وخلق قلبي وقولي وفعلي يتخلقه الفرد في تعامله مع ربه ونبيه ودينة ونفسه ومع الإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة. ويكون لهذا التنظيم ثبات نسبي يمتاز به الفرد عن غيره. أما (**الشنقيطي**) فقد اكدت نتيجة دراسته على ارتباط الدين بمصير الإنسان وبمختلف جوانب الحياة الإنسانية .وقد توصلت دراسة(**زغبوش**) إلى فطرية اللغة، أما دراسة (**عطاء الله**) فقد توصلت نتائجها إلى أن خصائص الفطرة تتناسب مع خصائص الدين الإسلامي وان التوحيد فطرة في الإنسان وكذلك الخير كما أكدت دراسة (**النادر**) على أن مصطلح الفطرة لا يقصد به معنى ديني على الإطلاق بل كناية عن فطرة وإحساس الإنسان بالوعي كحالة عاطفية بإدراك الإحساس بالوجود وبالانتماء إلى الكون وأخذه للشكل الديني لاحقا، أما دراسة (**منور**) فقد توصلت إلى أن الإنسان مفطور على التوحيد والخير وان الفطرة تتحدد بدائرة المجال الجمعي والمجال الفردي وأنه من خلال الفطرة يمكن الكشف عن مقاصد الشريعة. توصلت دراسة (**Jeffrey C. Hall & etal,**) **إلى أن** للساعات البيولوجية في ذبابة الفاكهة وظيفة من قبل نفس المبادئ في خلايا أخرى بالكائنات متعددة الخلايا، بما في ذلك البشر. وأظهروا أن هذا الجين يعمل بدقة على مدار الساعة الداخلية لدينا ويتكيف مع وظائف الأعضاء في مراحل مختلفة من اليوم. وتنظم الساعة وظائف حاسمة مثل السلوك، ومستويات هرمون، والنوم، ودرجة حرارة الجسم والتمثيل الغذائي، كما توصلت دراسة ((**Rising. A, and & Johansson**) البروتينات الأكثر أهمية لتحويل سيبدرون إلى الحرير متشابهة جدا بين العناكب المختلفة. سبيدرواينز لديها هيكل حلزوني وغير مرتبة عند تخزينها كبروتينات قابلة للذوبان في الغدد الحريرية، ولكن عند تحويلها إلى الحرير يتغير هيكلها تماما ليعطي درجة عالية من الاستقرار الميكانيكي ويتسم الحرير المنتج فطريا بخفة الوزن وهو اقوى وأكثر صلابة من الفولاذ وكذلك توصلت دراسة (**Elizabeth D. Hutchins & etal**) إلى آلية تجديد خلايا الذيل لدى السحلية الخضراء بطريقة فطرية بتحديد الجينات المسؤولة والتي يبلغ عددها 326 حيث يكمن دورها في تنشيط آليات إصلاح وتجديد الخلايا، كما كانت هناك جينات لها دور في تنشيط الاستجابة لحالة فقدان الذيل، والسيطرة على الإفرازات الهرمونية أما دراسة (Ron .S& Nick. W, 2013) فقد توصلت إلى أن الشخصية يمكن أن تستند أساسا على الغرائز الناتجة عن الدوافع البشرية الأساسية، جنبا إلى جنب مع العمليات ذات الصلة، ضمن بنية معرفية شاملة.

تتفق نتيجة البحث الحالي مع الدراسات السابقة فيما يلي:

1- فطرية التدين، فطرية اللغة، فطرية القيم والأخلاق، فطرية النمو والسلوك الفطري لدى الكائنات الحية.
2- تتحدد الفطرة بدائرتين جمعية وفردية.

وتختلف نتيجة البحث الحالي مع النتيجة التي توصل اليها (النادر) من أن مصطلح الفطرة لا يقصد به معنى ديني على الإطلاق بل كناية عن فطرة وإحساس الإنسان بالوعي كحالة عاطفية بإدراك الإحساس بالوجود وبالانتماء

إلى الكون وأخذه للشكل الديني لاحقا حيث خلصت الباحثة إلى أن الدين هو مجال رئيس من مجالات الفطرة العامة يعمل على تنظيم المجالات الحياتية كلها كما تختلف نتيجة البحث الحالي مع كون الفطرة تعتبر أصول الخلق فقط حيث توصلت الباحثة إلى أن النظم الفطرية لا يقتصر دورها على البدايات بل يمتد ليشمل جميع مراحل التطور والنمو في الكائنات الحية.

استفادت الباحثة من الدراسات السابقة في صقل الإطار النظري للبحث وحصر مجالات الفطرة التي توصلت اليها والاستعانة بها في تفسير النتائج.

تتميز نتائج البحث الحالي على النتائج التي توصلت اليها الدراسات السابقة بالشمولية حيث تم تحديد وتصنيف مجالات الفطرة بطريقة أكثر موضوعية مع معالجة الموضوع المشكل في إطار المنظومة الكونية وقد استطاعت الباحثة استنباط مجالات الفطرة باستقراء الآيات القرآنية ذات الصلة مما ساعدها في التوصل إلى مجالات لم تكن مطروقة من قبل كمجالات للفطرة في البحوث السابقة. ومن امثلتها (الذاكرة الكونية، السلاسل والدورات الحيوية، التكاثر والنمو، الجغرافيا والسمات العامة لتواجد الكائنات، النظم النفسية والاجتماعية، والسنن الكونية) أما مجالات النظم المتخصصة للفطرة فمن امثلتها (النظم في الشخصية الإنسانية، والحيوانات والنباتات والجمادات).

محاور البحث:

مجالات الفطرة في القرآن الكريم:

تمهيد:

الفطرة كمعرفة قد تم التطرق لها في مجالات مختلفة وتحت مسميات ومفاهيم متباينة- في علوم شتى- فنجد في العلوم النفسية عدة مصطلحات قد تم تداولها مثل الحس العام (Common Sense)، الغريزة (Instinct)، أو المنعكسات (Reflexes) باعتبارها جانبا وراثيا يتمثل في الوظائف النفسية اللاإرادية في الشخصية كما تم التعبير عن الفطرة باللاشعور أو اللاوعي، كما استخدم مصطلح الحاجات البيولوجية كحاجات لها علاقة بالغريزة وقد تمت الإشارة إلى بعض الأمور الفطرية على أساس أنها غير خاضعة للعلم وتم تصنيفها كبارا سيكولوجيا(Para-psychology).

وفي الفلسفة- خاصة العربية منها- قد تم تداول مصطلحات مثل الفطرة الإلهية والفطرة الإنسانية والفطرة الكونية، وفي علم الاجتماع قد شاع استخدام مصطلحات مثل غريزة التدين والايثار (الغيرية) وكذلك الدوافع الروحية وفي العلوم البيولوجية انتشر استخدام مصطلحات كالتطور، والتصميم الذكي، والتنظيم الذاتي والسلوك الفطري. وفي علوم المناعة يشيع استخدام مصطلح (المناعة الفطرية) أو المناعة الخَلقية أو المناعة الغريزية (Grasso, P. ; Gangolli, S. ; Gaunt, Ian (2002) .

ومن خلال استقراء الآيات الدالة على الفطرة استنبطت الباحثة نوعين من نظم الفطرة " النوع العام" الذي يتولد عنه النوع الخاص لفطرة الكائنات ولكل نوع مجالاته ونماذجه، يقول تعلى: وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أن اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿45﴾(النور: 45)، وهذا ما يؤكده (عبدالله، 2009) المذكور في (المطوع، 2016، 11)من أن السمات المشتركة تظهر على جميع الافراد بشكل عام وان السمات الفريدة لا تتوافر الا لدى فرد معين مع انها توجد لدى الاخرين لكنها لا توجد لديهم على نفس الصورة والكمية مما يوحي بتميز الفرد بها عن من سواه. ويعتبر تدرج السمات

الخلقية في الكائنات الحية من النظم العامة للفطرة حيث يمثل امتدادا طبيعيا نتيجة لعمليات النمو الحيوية- التي تسير من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء- والتي تصل إلى مرحلة التخصص البنيوي الذي يرتكز على البنية الكلية للكائن الحي التي تميزه عن غيره من الكائنات الحية وهذا هو الأساس الذي يبني عليه علماء البيولوجي تصنيفهم للكائنات حيث يبدا بالعموميات "(المملكة Kingdom) ويتدرج إلى (الشعبةPhylum)، (الطائفة Class)، (الرتبة Order)، (الفصيلة Family)، (الجنس Genus) وينتهي بالمواصفات الخاصة التي تعتمد على أوجه الشبه الدقيقة داخل النوع الواحد (Species)" والتي تنبني عليها مواصفات أكثر دقة تميز الفرد و تمثل النظم المتخصصة للفطرة، يقول تعالى في محكم التنزيل "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أن اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ أن الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا أن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿70﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾"(البقرة 67- 71)، نستنبط من هذه الآيات الأسلوب السلس الذي يبين التدرج في مواصفات البقرة ا التي تبدا عامة (بقرة) ومن ثم تظهر وصف العمر (لا فارض ولا بكر)، ثم تأتي بعد ذلك صفة خاصة (صفراء فاقع لونها) وبعد ذلك صار الوصف أكثر دقة اذ يخص السلوك الذي يخضع للفروق الفردية- النفس حركي (لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا)

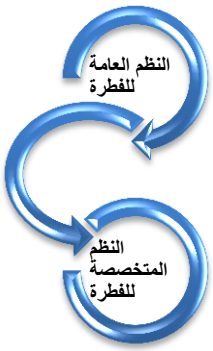

شكل(1) يوضح العلاقة بين النظم العامة والنظم المتخصصة للفطرة.

النظم العامة للفطرة:

هذه النظم مبنية على العلاقات الأساسية المتبادلة بين الكائنات والتي تعتبر قاسم مشترك لدورات الحياة التي تخضع لنظام الزمان والمكان والخصائص المشتركة التي تدعم أهداف وجود الكائنات، فالنظم العامة للفطرة تتولد منها جميع الأحداث والمعارف التي تشمل الماضي والحاضر واستشراف المستقبل وقد يستدل بها على النظم المتخصصة للفطرة ولولا ثبات خصائص الفطرة العامة لما كان هناك علم أو ثقافة.

وردت آيات كثيرة تحمل مصطلح الفطرة بلفظها الصريح كما وردت آيات تحمل الفاظ ذات دلالة على الفطرة، يقول جل جلاله على لسان موسى عليه السلام- في الحوار الذي دار بينه وبين فرعون" قالَ رَبُّنَا الَّذي أَعطى كُلَّ شَيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدى ﴿50﴾ قالَ فَما بالُ القُرونِ الأولى﴿51﴾ قالَ عِلمُها عِندَ رَبّي في كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبّي وَلا يَنسَى﴿٥٢﴾ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرض مَهدًا وَسَلَكَ لَكُم فيها سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجنا بِهِ أَزواجًا مِن نَباتٍ شَتّى﴿٥٣﴾ كُلوا وَارعَوا أَنعامَكُم أن في ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴿54﴾ مِنها خَلَقناكُم وَفيها نُعيدُكُم وَمِنها نُخرِجُكُم تارَةً أخرى ﴿٥٥﴾"(طه: 51- 55)، في الآيات الكريمات السابقات تلخيص مختصر لأحداث ونماذج لسيرة الخلق والإيجاد

مرورا بدورة الحياة وانتهاء بالفناء ومن ثم حياة البرزخ وبعدها البعث مرة أخرى، كل هذه الأحداث مرتبة ومنظمة وتسير وفق منظومة الفطرة يسيرها خالق لا يضل ولا ينسى، ويقول جل جلاله: " بَديعُ السَّماواتِ وَالأرض أَنّى يَكونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تَكُن لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ ﴿101﴾"(الأنعام: 101)، هذه الآية الكريمة تبين لنا أن الفطرة هي نظام الخلق وأن الكون هو مجال الفطرة، أما التصنيفات العلمية لا تعدو كونها تنظيم بشري لتسهيل الإدراك

نماذج لمجالات النظم العامة للفطرة:

الكون وما فيه من مخلوقات يمثل انسجاما وتجانسا لتكامل التفاعل فيما بينهما والفطرة من حيث مستوياتها الكونية الواسعة تعتبر عامة ويأتي التخصص على المستوى الكلى للكائن الواحد وكذلك على مستوى العضو الواحد والخلية الواحدة أو الذرة، الشكل أدناه يوضح ملخصاً لنماذج مجالات النظم العامة للفطرة والتي تتسم بالتداخل والتفاعل وهذا التصنيف الهدف منه تسهيل تلقي المعلومة.

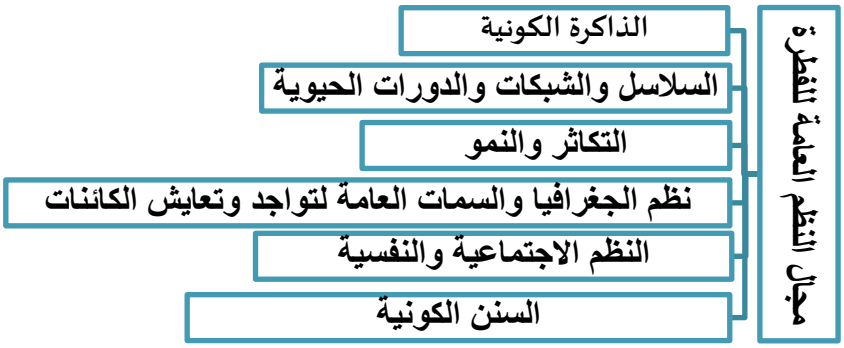

شكل رقم(2) يوضح مجالات النظم العامة للفطرة

1- مجال الذاكرة الكونية:

يقول تعالى في محكم التنزيل" وَما تَكونُ في شَأنٍ وَما تَتلو مِنهُ مِن قُرآنٍ وَلا تَعمَلونَ مِن عَمَلٍ إِلّا كُنّا عَلَيكُم شُهودًا إِذ تُفيضونَ فيهِ وَما يَعزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصغَرَ مِن ذلِكَ وَلا أَكبَرَ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ ﴿٦١﴾"(يونس، 61) تؤكد الآية الكريمة أن المعلومات التي يسير وفقها هذا الكون لا يمكن أن تنسب إلا لله القادر الوهاب، فعلى كثرة الكائنات نجد أن نظام الكون يسير بانتظام ودون خلل وبدقة متناهية، وما هذا إلا لوجود ذاكرة تحفظ استمرارية الوجود وهي الذاكرة التي تنظم العلاقات والاتصالات والتفاعلات الخاصة بالنظم العامة للفطرة حيث تمثل مخرجات أنماط العلاقات المتبادلة بين الكائنات في بيئتها المحلية وتمتد تفاعلاتها مع الكون المحيط بها من أنظمة الطاقة (الشمس) أو الغازات(الأكسجين)، وقد عبر (فايز، 1995) عن العلاقات الذاكراتية الكونية بقوله " مفهوم الذاكرة الكونية يتجسد في الحياة الأرضية والكواكب والمجرات، كمظهر وقانون كوني، فالحياة على الأرض حفظت تسلسل ايقاعاتها من ملايين السنين وتكرره مع كل خلق جديد بدقة متناهية". وهذه العلاقات قد تكون كلية تبدأ من الكون وتنتهي بالكائن أو جزئية تبدأ بالكائن في بيئة تواجده وتنتهي بالكون وتشمل طرق وامتدادات تواصله وتفاعله مما يدل على أنها دائرية، وهذا يعني أن الذاكرة الكونية هي الوعي المتحكم في الذواكر المحدودة لمجموع الكائنات، اذ تتميز الذاكرة الكونية بامتداداتها الواسعة في مجال الزمكان الكوني حيث تربط الكائن بالكون المحيط به ويعتبر مستوى البيئة المحيطة جزء من النظام الكوني العام وبالتالي يكون التفاعل على مستوى واسع ويشمل علاقة جميع الكائنات ببعضها البعض أو تفاعل احد الكائنات مع كل أو معظم الكائنات ومن امثلة تلك التفاعلات الذاكراتية:

أ- علاقة الماء بالكائنات.

يقول جل جلاله: "وَجَعَلنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤمِنونَ ﴿30﴾" (الانبياء، 30) فالماء أساس الحياة على كوكب الأرض ويغطي 71%من الكرة الأرضية ويتكون جسم الإنسان البالغ من نفس النسبة تقريبا، لقد فطر الله سبحانه وتعالى جميع الكائنات، خاصة الحية منها للتفاعل مع عنصر الماء بطريقة أو بأخرى وأودع سبحانه في ذواكر المخلوقات طريقة التفاعل مع الماء والضوء جميع الوظائف التي تؤديها الكائنات و تتسق مع نسق المعلومات المتوفرة في ذواكر الكائنات التي تدخل في التفاعلات التي لها علاقة بتحقق الوظيفة أو الفائدة المرجوة والتي يمكن إدراكها بصورة واضحة في أنماط العلاقات المختلفة بين الكائن المحدد والكائنات التي تقع في محيطه والتي ينجم عنها كمية هائلة من الاتصالات.

ب- علاقة الضوء بالكائنات:

يقول تعالى جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ أن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿71﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص.71- 72)، توضح الآيات الكريمات أهمية الضوء للكائنات حيث لا تقتصر أهميته على الإنسان فقط، فالنباتات تحتاج إلى الضوء في عملية التمثيل الضوئي و قدرة النباتات على الادراك والتذكر تتمثل في الشعور والاستجابة للبيئة. حيث تتفاعل النباتات مع المواد الكيميائية والجاذبية والضوء والرطوبة ودرجة الحرارة والأكسجين وثاني أكسيد الكربون وتركيزات الطفيليات والمرض والاضطراب الفيزيقي والصوت، واللمس.(Leendert C. van Loon, 2016, 279- 364).

ج- علاقة الموت بالحياة:

إن علاقة الموت بالحياة من العلاقات الأساسية لاستمرار الكائنات ولقد اثبت القرآن الكريم أن الموت سابق على الحياة، يقول جل جلاله: ﴿قُل مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرض أَمَّن يَملِكُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمرَ فَسَيَقولونَ اللَّهُ فَقُل أَفَلا تَتَّقونَ﴾(يونس: 31)، ورد في تفسير ابن عاشور أن اخراج الحي من الميت يعني فصل شيء محوي عن حاويه وأن إخراج الحي من الميت يظهر في أحوال كثيرة منها: إنشاء الأجنة من النطف، وإنشاء الفراخ من البيض؛ وإخراج الميت من الحي يظهر في العكس ويقول جل جلاله: "﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(الملك: 2)، ورد في تفسير ابن كثير أن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم، ويختبرهم أيهم أحسن عملا؟، أن نهاية الحياة لدى الكائنات تمثل ركناً أساسياً لاستمرارية الحياة لأجيال تالية لذلك تبدأ الأنشطة الحيوية بسلسلة من التفاعلات تحول أعضاء الكائنات الحية إلى نيتروجين يساهم في تكوين حياة جديدة ويحفظ البيئة من التلوث الذي قد يحدثه وجود كائنات ميتة ودورة النيتروجين تمثل الحل.

أثبتت البحوث الحديثة أن الموت هو أصل الحياة وأن الإنسان لا يتعرض للموت فقط عند خروج الروح، وأن هناك آلية منتظمة لموت الخلايا تعتبر أساسية في أطوار النمو المختلفة للكائن الحي تحدث بطريقة منتظمة وبمعدلات تتناسب مع المتغيرات البنيوية تسمى موت الخلية المبرمج (programmed cell death) وله دور هام في الحفاظ على البيئة البيولوجية للكائن والاتزان النسيجي (Tissue homeostasis)، و- أيضاً- له دور هام أثناء التطور الجنيني ومن الأمثلة على ذلك تكوين الأصابع بعد موت الخلايا في النسيج الوسيط بينها (Webs)، وكذلك تطور المخ حيث ما يقرب من نصف الخلايا العصبية يقوم بعملية الموت المبرمج أثناء التطور مما يعني أن البنية الأساسية للمخ تعتمد على خلايا ميتة، والخلايا في الكائن البالغ تقوم بموت مبرمج للحفاظ على التوازن مع تكاثر الخلايا للحفاظ على عدد ثابت وبيئة ثابتة للخلايا. وموت الخلية له دور هام في نمو الجهاز المناعي والقضاء على الخلايا التي قد تقاوم

الجسم نفسه. وبالتالي فعملية موت الخلية المبرمج مهمة في النمو، التكاثر، التمييز، الحفاظ على البيئة الداخلية، تنظيم وعمل الجهاز المناعي والتخلص من الخلايا المعيبة والضارة. وعملية التحول (Metamorphosis) في الحشرات وسقوط طبقة الرحم الداخلية في الإناث خلال الدورة الشهرية. موت الخلية المبرمج في مجال المرض، أن سوء تنظيم موت الخلايا المبرمج له دور هام في حدوث أمراض عديدة، فنقص حدوثه يؤدى إلى حدوث أورام- لتكاثر الخلايا وتراكمها، أمراض مناعية- لعدم القضاء على الخلايا التي تقاوم الجسم نفسه، وزيادة حدوث موت الخلايا المبرمج قد يؤدى إلى أمراض مثل التنكس العصبي مثل(الزهايمر(Alzheimer)- مرض باركنسون (Parkinson)، مرض هنتنغتون (Huntington)، مرض التصلب الضموري، امراض المناعة الذاتية (Autoimmune diseases)مرض نقص المناعة المكتسب (Aids)، نقص الأكسجين، السكتة الدماغية، احتشاء عضلة القلب. والخلل في موت الخلايا المبرمج يرجع إلى تحور في الجينات الخاصة ببعض العوامل التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في موت الخلايا المبرمج، وبالتالي يؤدى لحدوث أمراض عدة مثل أمراض القلب والأوعية الدموية، أمراض الغدد الصماء، أمراض الكبد والجهاز الهضمي، أمراض الكلى، وأمراض الرئة (Oppenheim. RW .1981,74- 137).

وفي النباتات يعتبر موت الخلية المبرمج ضروري لتشكل الانابيب والاوعية النباتية "شبكة انابيب الزيليم التي توزع السوائل إلى أجزاء النبات المختلفة تتكون من الخلايا الميتة في النبات" (يحيى، بدون، 116)

إن نظم الكائنات الحية تبدو ذات علاقة وثيقة بنظم الكائنات غير الحية فخلال العمليات الحيوية للمادة تحافظ الذرات المكونة لها، مثل ذرات الكربون أو الأكسجين، على وحدتها حتى تتجمع لتكون مركبات جديدة، سوف تتحطم فيما بعد. تحتوي الأرض بشكل أساسي على عدد ثابت لكل نوع من الذرات التي لها أهمية حيوية وهذه الذرات يتم تدويرها، يقول جل جلاله: مِنها خَلَقناكُم وَفيها نُعيدُكُم وَمِنها نُخرِجُكُم تارَةً أخرى ﴿٥٥﴾(طه: 55) ورد في تفسير ابن كثير "من الأرض مبدؤكم، فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، (وفيها نعيدكم) أي: وإليها تصيرون إذا متم وبليتم، ومنها نخرجكم تارة أخرى"، كل مخلوق حي يتكون جسمه من ذرات كانت سابقا في التربة، والغلاف الجوي واجزاء أخرى من البيئة غير الحيوية، أو من مخلوقات أخرى، وعندما يموت المخلوق، فإن ذراته تتحرر كما هي لكي تستخدم من قبل مخلوق اخر، أو تعود إلى البيئة غير الحية، وبسبب تدوير المكونات الذرية للمادة قد يكون جسمك مكون من ذرة أكسجين أو كربون كانت ليوليوس قيصر أو كليوبترا، دورات العنصر الكيميائية لا تحتاج فقط إلى مخلوقات حية وعمليات، بل- أيضاً- إلى أنظمة جيولوجية غير حية، وعمليات تشمل الدورات البيولوجية والدورات الجيو كيميائية، عمليات تحدث على مقاييس مكانية عدة، من الخلوي إلى الكواكبي، وتشمل- أيضاً- عمليات تحدث على مقاييس زمنية متعددة، من الثواني (مثل التفاعلات البيو كيميائية) إلى مئات القرون مثل (تجوية الصخور) (بيتر. هـ. ريفن وآخرون، 2014، 108)

د- الساعة البيولوجية في الكائنات الحية (Biological Clock):

يقول تعالى: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿9﴾وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿10﴾وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿11﴾(النبأ: 9- 11) توضح الآية الكريمة نعمة الله علينا حيث أودع فطرة ارتباط الزمن بالأنشطة والسلوكيات الحياتية المختلفة، فالنوم مرتبط بالليل والنهار مرتبط بالنشاط والحركة والسعي بل كل حركة أو سكون في هذا الكون مرتبطة بتوقيت محدد لا يصلح استبداله، يقول جل وعلا: وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿37﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿38﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿39﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿40﴾(يس: 37- 40).لقد توصل العلم إلى نتيجة وجود علاقة بين الأنشطة الحيوية والزمن متأخرا ففي دراستهم عن الساعة البيولوجية والتي نالت جائزة نوبل، توصل(Jeffrey C. Hall & & etal , 2017) **إلى أن** للساعات البيولوجية في ذبابة الفاكهة وظيفة من قبل نفس المبادئ في خلايا أخرى

بالكائنات متعددة الخلايا، بما في ذلك البشر. وأظهروا أن هذا الجين يعمل بدقة على مدار الساعة الداخلية لدينا ويتكيف مع وظائف الأعضاء في مراحل مختلفة من اليوم. وتنظم الساعة وظائف حاسمة مثل السلوك، ومستويات هرمون، والنوم، ودرجة حرارة الجسم والتمثيل الغذائي على مدار الليل والنهار،

2- نظم السلاسل والشبكات الغذائية والدورات الحيوية:

على الرغم من تميز هذه النظم بالسلاسة إلا أنها معقدة لكثرة الارتباطات والتفاعلات الدائرية التي تميزها ويعتبر الإنسان هو المستفيد الأول من تلك النظم فجميع الدورات الحياتية تصب في صالحه وتخدم وجوده، يقول تعالى "﴿وَأَرسَلنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنزَلنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسقَيناكُموهُ وَما أَنتُم لَهُ بِخازِنينَ ﴾"(الحجر: 22) تشير هذه الآية الكريمة إلى مقدرة الماء على التحول والتشكل اثناء دورته والتي تعتبر أساسية تعتمد عليها الحياة كما تمثل وسيطاً أساسياً لكل الدورات الحيوية وبدونها لا يستمر أى نشاط حيوي ولقد عبرت الآيات بصورة دقيقة جدا عن كيفية تشكل دورة الماء يقول جل جلاله: " ﴿وَهُوَ الَّذي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ حَتّى إِذا أَقَلَّت سَحابًا ثِقالًا سُقناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلنا بِهِ الماءَ فَأَخرَجنا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخرِجُ المَوتى لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ ﴾"(الأعراف: 57)، ورد في تفسير السعدي[1]"الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن اللّه من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة اللّه، حَتَّى إذا أَقَلَّتْ { الرياح }سَحَابًا ثِقَالًا { قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى، وألحقه ريح أخرى } سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ { قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن ييأسوا من رحمة اللّه }فَأَنْزَلْنَا بِهِ { أي: بذلك البلد الميت }الْمَاءُ { الغزير من ذلك السحاب وسخر اللّه له ريحا تدره وتفرقه بإذن اللّه } فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ { فأصبحوا مستبشرين برحمة اللّه، راتعين بخير اللّه هذه الآية تشير إلى عملية تدوير الماء من منطقة لأخرى ومن شكل لآخر عبر ما يسمى بدورة المياه في الأرض والتي لولاها لما استمرت الدورات الحياتية الأخرى كدورة الغذاء ودورة الكربون وغيرها من الدورات.

نظم تبادل الغازات تحكمها كثير من التفاعلات المتبادلة بين الكائنات الحية وغير الحية ويعتبر الإنسان هو المستفيد الرئيس من مخرجات هذه النظم حيث ينتج غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يمثل مادة إخراجية عند الإنسان فيتم التبادل بطريقة عجيبة حيث يمثل ثاني أكسيد الكربون مدخلا رئيسا في دورة تنفس النبات بينما يتخلص النبات من الأكسجين الذي يعتبر مادة إخراجية ليتم تبادله مع الإنسان الذي يستنشقه في عملية الشهيق لتبدأ دورة جديدة يدخل فيها الأكسجين كمدخل. من الملاحظ أن الإنسان قد لا يكون أحد عناصر شبكة غذائية محددة إلا أنه يستفيد من مخرجاتها الحية (اللحوم والفواكه والخضروات) أو مخرجاتها غير الحية (الأكسجين والمواد العضوية والتوازن البيئي والمناخ) (بيتر. هـ. ريفن وآخرون، 2014، 108).

3- نظم التكاثر والنمو:

النمو عملية مستمرة ومتدرجة تسير في مراحل، وهي عملية معقدة متداخلة تداخلا وثيقا ومترابطة ترابطا إيجابيا وتسير من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء وتتخذ اتجاها مستعرضا من المحور الرأسي للجسم إلى الأطراف واتجاها طوليا من الرأس إلى القدمين وتبدو الفروق الفردية واضحة في النمو، وكل فرد ينمو بطريقة وأسلوب خاص به (زهران، 2005، 76).

ويتميز النمو بكونه مشترك عام لدى الكائنات الحية كما يتسم بمبادئ الفطرة وقوانينها من تدرج وتسلسل يقول جل جلاله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن

(1) تفسير السعدي موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿5﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿6﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿7﴾(الحج: 5- 7)، هذه الآيات البينات تلخصت فيها رحلة الإنسان من التراب إلى التراب إلى البعث والنشور، وبما أن الإنسان شاهد على بعض مراحل حياته فقد ضرب الله له مثلا يقرب له فهم ما غاب عنه من مراحل حياتية غير مشهودة؛ فإحياء الموتى يشبه إنبات النباتات في الأرض القاحلة بعد أن يهطل عليها المطر وفي هذا دعوة للإنسان ليتفكر بعلمية حتى يدرك العلاقات الوجوديه ويضعها في نسق منتظم ليكشف ما خفي عليه من حقائق.

إن حقيقة الوراثة في القرآن الكريم تعتبر واضحة وجلية يقول تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾(الإنسان: 2- 3)، توضح الآيتان أن الوراثة بهذه الصفة (أمشاج) هي جزء من نظام الفطرة الإلهية بالكائنات الحية باعتبارها أصل ونظام الخلق كذلك الهداية تمثل قابلية النزوع السلوكي، اذن الفطرة اعم وأشمل من الوراثة، ويقول جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿14﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿15﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴿16﴾(المؤمنون: 12- 16)، ورد في تفسير الطبري[2] "سلالة أي: أسللناه منه، فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض"، وضحت الآيات الكريمات مراحل تطور الجنين بدقة متناهية لم يتوصل إليها العلم الحديث إلا قريبا، في الشهر الأول من الحمل تتكون النطفة والعلقة وفي الشهر الثاني تتطور العلقة حتى تصبح مضغة ويبدأ نمو العظام وفي الشهر الثالث يبدو النمو سريعا حيث تتمايز الكتل الجسمية، ويستمر النمو إلى أن تبدو الأعضاء متناسقة (حامد زهران، 2005). يبدأ النمو عاما ويتدرج إلى أن يكتمل متخصصا ويعتبر كليا في مراحله الأولى ثم يتطور إلى الأجزاء أو الأعضاء الدقيقة في جسم الكائن الحي الصورة أدناه توضح شكل الوجه كيف يبدأ عاما ثم يتدرج إلى الشكل النهائي للوجه لدى الجنين ففي أول فيديو من نوعه من إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" تم تصوير مراحل تطور ملامح وجه الجنين في أول ثلاثة أشهر من عمره وذلك من خلال عملية مسح "Scan" حقيقية لمنطقة الوجه؛ لجنين في مراحل التشكل والنمو في بطن أمه، تنمو قسمات الوجه وتتحد مع بعضها خلال ثلاثة أشهر فقط من بدء الحمل وتجتمع في منطقة ما فوق الشفة العليا قبل أن تتحد معاً، تشكل الوجه يكون من خلال اندماج صفائح متحركة من الأنسجة تستقر في منطقة الوسط فوق الشفة العليا تحت الأنف ويطلق عليها اسم "النثرة"philtrum . وهذا الاندماج الذي لا يحصل إلا في الثلاثة أشهر الأولى فقط من حياه الجنين قد يكون سطحياً أو عميقاً أو طويلاً أو عريضاً وهذا ما يحدده التركيب الجيني للشخص، أما عملية الإخفاق في الاندماج هذه فقد تسبب تشوهات خلقية في الوجه مثل "الشفة الأرنبية: ((Palate Michael Mosley,2011)

النباتات –أيضا- تتميز بالتدرج في النمو وقد وصف الله سبحانه وتعالى كيفية نموها في قوله: وَهُوَ الَّذي أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيءٍ فَأَخرَجنا مِنهُ خَضِرًا نُخرِجُ مِنهُ حَبًّا مُتَراكِبًا وَمِنَ النَّخلِ مِن طَلعِها قِنوانٌ

(2) تفسير الطبري موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

دانِيَةٌ وَجَنّاتٍ مِن أَعنابٍ وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُشتَبِهًا وَغَيرَ مُتَشابِهٍ انظُروا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثمَرَ وَيَنعِهِ أن في ذلِكُم لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنونَ ﴿٩٩﴾(الانعام: 99).

4- نظم الجغرافيا والسمات العامة لتواجد وتعايش الكائنات:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى في كل بيئة ما يناسبها من كائنات حية فقد ضرب الله مثلا لكفار قريش بالابل التي كانت من أهم الحيوانات المتواجدة في الصحراء حيث يعيشون، يقول تعالى: أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾(الغاشية: 17)، ومن مظاهر هذه النظم:

أ- التوازن البيئي الحيوي:

وعند دراسة الجغرافيا البشرية يلاحظ تصنيف خصائص الكائنات المرتبط بالأمكنة الطبيعية لوجودها في حقبة زمنية محددة، هذا التصنيف يعزى لخصائص النظم العامة لفطرة تواجد الكائنات ضمن المنظومة الكونية حيث نجد سمات عامة للكائنات؛ حسب ارتباط المكان بنظام المناخ (الحرارة والبرودة أو الرطوبة) إذ يجسد هذا النظام العدالة الإلهية، فكل كائن موجود بالبيئة التي توفر له الحماية واستمرارية الحياة فالبشرة السمراء هى نظام فطري عام لحماية الإنسان الموجود في منطقة مرتفعة الحرارة كما يعتبر الطول هو الميزة التي تضمن للإنسان والنبات إمكانية الحصول على الأكسجين في المناطق ذات الضغط الجوي المنخفض. أن العلاقة بين السلوك والبيئة متكاملة وقد فسر (كيرت ليفين: kurt Lewin) هذه العلاقة بأن السلوك يتوقف على الفرد وبيئته والفرد والبيئة كلٌ منهما يتوقف على الآخر، ولفهم السلوك يجب أن ننظر إلى كليهما على أنهما مجموعة متشابكة من العوامل تسمى بمجال حياة الفرد(خليفة، 2009، 219).

ويعتبر التفاعل بين النظم العامة والنظم المتخصصة للفطرة أساسي وضروري لعمليات التوازن البيئي التي تحدث بصورة فطرية، فدورة حياة المخلوقات تتضمن تبادلات مهمة (التكاثر بأعداد كبيرة يرتبط بالفناء العالي)، كما تعتبر العمليات البيئية ذات تأثيرات تفاعلية (قد يتغير ظهور الأنواع تدريجيا أو بشكل مفاجئ؛ لضمان استمرارية الحياة والتوازن البيئي الذي يعتمد على العلاقات الفطرية العامة لنظم الدورات الحياتية مثل أنظمة الغذاء التي تمثل تفاعلات الأنواع كالتكافل والتعايش والتطفل) (ريفن وآخرون، 2014).

ب- الأنظمة الدفاعية للكائنات:

معظم الآليات الدفاعية عند الكائنات الحية تعتبر فطرية حيث تعمل فيسيولوجيا جسم الإنسان على التوازن الحيوي بطريقة تلقائية للعمل على تنظيم درجة حرارة الجسم لمقاومة البرودة او عند ارتفاع درجة الحرارة، وللدفاع عن النفس في الحالات الطارئة حيث يسلك الكائن الحي بطريقة فطرية لا علاقة لها بالتعلم، يقول تعالى: ﴿وَتَحسَبُهُم أَيقاظًا وَهُم رُقودٌ وَنُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بِالوَصيدِ لَوِ اطَّلَعتَ عَلَيهِم لَوَلَّيتَ مِنهُم فِرارًا وَلَمُلِئتَ مِنهُم رُعبًا﴾(الكهف: 18) في هذه الآية الكريمة ذكر المولى عز وجل التقلب كسلوك لا ارادي فطري وكذلك نلاحظ تقديم سلوك الفرار قبل الانفعال "الرعب" مما يدلل على فطرية السلوك وأنه حدث بطريقة لا –ارادية على عكس السلوك المتعلم الذي يحدث بعد الانفعال المتولد عن المعرفة.

يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(النمل: 18)، هذه الآية الكريمة تدل على أن الكائنات الحية مهما صغرت مفطورة على الإحساس بالمخاطر والحاجة إلى الامن تدفعها فطريا للنزوع إلى السلوك الدفاعي من اجل سلامتها. وهذا ما يؤكده (sdfsc- enews.org,2017) من أن معظم نتائج النشاط الفطري تسهم في الحفاظ على الفرد أو على استمرارية

الأنواع؛ والميل إلى التكيف مع التغيرات الإيجابية أو السلبية في البيئة التي لها آثار على بقاء الفرد، السلوك الفطري يمكن أن يتراوح من استجابة بسيطة للبيئة إلى مستوى عال من الإجراءات التي تنطوي على ردود الفعل المعقدة." ومن الملاحظ في الحيوانات اهتمامها بنظم دفاعية فطرية كتغيير اللون الأصلي إلى لون يشبه المثيرات البيئية حولها "الحرباء وبعض الأسماك والثعابين "، كما يتخذ بعضا منها بيوتا للحماية "العنكبوت والنمل والنحل.

النباتات كبقية الكائنات الحية لها اساليبها الدفاعية التي توفر لها الحماية، فنبات الذرة يعمل على إفراز مادة كيميائية تجذب الدبابير التي تخلصه من اليرقات الضارة ومن الملاحظ هنا أن نظام الحماية هذا هو جزء من دورة حياة الدبابير (يحيى، بدون، 128)

ج- الهجرة وحركة الكائنات:

الحركة من السمات الفطرية التي تمثل مشترك عام لدى الكائنات الحية والهجرة تشمل كل حركة منتظمة ذات وجهة محددة لإشباع دوافع معينة سواء اكانت بشرية او حيوانية، وقد اكتسبت الهجرة أهمية روحية عظيمة في الإسلام يقول تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(النساء: 100)، فبالهجرة مكن الله للمسلمين وبها انتشر الإسلام، وفي عصرنا هذا كثرت الأسباب الدافعة للهجرة. أما هجرة الحيوانات (animal migration)فتعني تحرك الحيوانات دورياً أو فصلياً استجابة لتغيرات مناخية أو لتوافر الغذاء أو لتأمين تكاثرها. وتتم الهجرة عادة من منطقة إلى أخرى ثم العودة إلى الموقع الأول. قد تكون هذه الحركة ذات طبيعة فصلية، كما في هجرة الربيع والخريف لكثير من الطيور، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾(الملك: 19)، تصور الآية سلوك الطير أثناء هجرته، أو تتطلب كامل حياة الحيوان كما في هجرة أسماك سلمون المحيط الهادئ الذي «يلد» في مجاري المياه العذبة، وينطلق إلى مياه المحيط، ثم يعود إلى المياه العذبة حيث «ولد» ليتكاثر ثانية قبل موته. يقوم كثير من الحيوانات بالهجرة، وبجانب المؤشرات البيئية فقد يكون لكثير من الحيوانات المهاجرة موسميًا تقويم مبرمج أودعه الله أجسامها يُخَبِّرُها متى تهاجر. وتُبْدِي بعض الطيور سلوكًا للهجرة الموسمية حتى عند بقائها تحت ظروف بيئية ثابتة في المختبر. (خاروف، 2015).

5- النظم البيولوجية و الاجتماعية والنفسية:

تمثل الفطرة في النظم البيولوجية بالكائنات الحية مشتركا عاما وترتبط بوجود الروح التي لا يتم أي نشاط جسمي حركي او وظيفي الا في وجودها، والروح مجهول كنهها يقول تعالى: ﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا﴾الإسراء: 85) وتمثل الذات الجسمية الجانب البيولوجي للشخصية الإنسانية وتعتبر مشترك عام يقول تعالى: ألم نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿8﴾وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿9﴾(البلد: 8- 9).

وتعتبر النظم الاجتماعية من النظم العامة للفطرة حيث يلازم وجودها وجود البشر في جميع الحقب التاريخية ابتداء من الإنسان الأول وإلى يومنا هذا لم تتبدل ومن أهم النماذج:

أ- نظام الدين والعلم:

يرى (ابن عاشور) في كتابه التحرير والتنوير أن المكتشفات والمخترعات من الأمور الفطرية، وقد اورد (راسل، 2013) في كتابه الدين والعلم " أن العلم يستمد صدقيته من فرص تطبيقه تقنيا. فالنظريات المؤدية إلى اختراعات وتطبيقات، تصدق النظريات العلمية الأخرى. وهكذا تتوقف المعرفة عن أن تكون مجرد مرآة للكون لتصحيح أداة علمية في تناول المادة ومعالجتها" وهكذا يتضح أن العلم لا يمكن أن ينفصل عن الدين باى شكل من الأشكال

فكلاهما مبني على الحقائق المحضة وبما أن الدين مصدره الوحي الإلهي فهذا قد يفسر تقدم الدين على العلم، فالقرآن الكريم مثلا وردت فيه آيات تحمل حقائق علمية لم تكتشف إلا حديثا وهذا ما يشير إليه البعض بالاعجاز العلمي في القرآن الكريم، فالعلم إذن مصدره الفطرة والسنن الكونية فمن استطاع أن يستفيد من قوانين الكون ويأتي للبشرية باختراع أو اكتشاف فهذا شخص عنده علم بفطرة المجال الذي استفاد من نواميسه لذا يعتبر أن معطيات وجود الإنسان الأول بالكون لا تختلف عن معطيات وجود الإنسان المعاصر يقول جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أن يُطْعِمُونِ ﴿57﴾ أن اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾(الذاريات، 56- 58)، توضح الآيات الهدف من وجود الجن والإنس؛ ألا وهو توحيد الله وعبادته، وقد أكدت الآيات أن الله الرحمن الرحيم لم يكلف الجن والإنس شيئا فوق الطاقة بل بينت أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بأرزاقهم وتوفير كل ما يعينهم على العبادة (هدف وجودهم) يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أكثر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الروم، 30)، ورد في تفسير ابن عاشور[3] " المراد بالفطرة الإسلام والتوحيد، أو المراد بها: قابلية الدين الحق، والتهيؤ النفسي لإدراكه. والأصل فيها أنها بمعنى الخلقة" نستنتج من هذا أن الدين الحق والكتب السماوية هي الموجهات الإلهية التي تستقيم بها الفطرة الإنسانية ويمثل الدين القاسم المشترك الأعظم في كل المجتمعات الإنسانية والحاجة إلى التدين فطرة عامة لدى البشر فاختلاف الأديان أو لا ينفي كون التدين فطرة عامة فالدافع للتدين لا يعني دائما صحة الديانة لأن معطيات اختيار الدين يرجع إلى عوامل بيئية متداخلة تفرزها التنشئة الاجتماعية والإنسان بفطرته موحد إلا أنه قد ينحرف عن مساره لأسباب وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر الأحاديث التي تناولت الفطرة بلفظها الصريح أسباب الانحراف عن منهج الفطرة فيما رواه مسلم في صحيحه عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وأقرئوا أن شِئْتُمْ: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (الروم: 30). (صحيح مسلم، كتاب القدر/4809)، وقد توصلت دراسة (الشنقيطي، 2013) إلى ارتباط الدين بمصير الإنسان وبمختلف جوانب الحياة الإنسانية. كما توصلت دراسة (عطاء الله، 2011) إلى أن خصائص الفطرة تتناسب مع خصائص الدين الإسلامي وأن التوحيد فطرة في الإنسان وكذلك الخير.

معظم البحوث الاجتماعية عن الأديان خلصت إلى أن الدين فطرة أساسية في النفس البشرية فقد أكد (النادر، 2007) أن البعد الديني ثابت في النفس البشرية وأن الفطرة الأساسية المحرضة لظهوره تعتبر أكثر الدوافع الواعية على الإطلاق وخلاصة الأبحاث التي أجريت على المخ بتقنية جديدة لأشعة أكس (ANDREW NEWBERG, M.D&2016,18). تشير إلى أن " الايمان بالله مقصدا داخليا مصمم في المخ- Built- in Design "، و لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعاميا عن الفطرة التي جعلت الإنسان ينزع للتدين على طول التاريخ وتعطيلا لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والتطور تمكنه من العلم بالله بالاستقراء والتفكر والتحليل والاستنتاج. فالإنسان " مجبول على التدين: Hard- wired for religion " والتجربة العلمية لا يمكنها أن تخبرنا بطريقة مباشرة عن ذات الله ولكنها تخبرنا كيف أعد الله الإنسان ليعرفه، وهي تخبرنا أن عبادة الله وظيفة الإيمان به مطلب طبيعي يماثل الطعام والشراب و المخ البشري ليس معدا تشريحيا ووظيفيا فحسب للإيمان بالله وعبادته فإنما هو أيضا مهيأ عند قيامه

(3) تفسير ابن عاشور موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

بوظيفة العبادة لحفظ سلامة النفس والبدن بتوجيه العمليات الحيوية خلال منظومة عصبية وهرمونية متشابكة. وكذلك تعتبر القيم العاطفية عملية ضرورية عندما يتعلق الأمر بالدين. ومن الواضح أننا نهيئ أنفسنا لمحبة الله، ولكن من المفترض أن نمارس التسامح والرحمة والخيرية فكلها تتصل بمجالات المعالجة العاطفية لدينا والتي تساعدنا على التوافق الديني. علم الأعصاب المعرفي لم يحدد مناطق الدماغ التي تساعدنا على إدراك ما هو حقيقي وما هو ليس بحقيقي. ومن الواضح أن العقل البشري يمكنه القيام بذلك، وما ذلك الا لأن فهمنا في هذا المجال لا يزال محدودا ((ANDREW NEWBERG, M.D&2010 , 21).

يقول جل جلاله: "وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾(الأنبياء، 79)، ويقول عز وجل: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبعُ وَالأرض وَمَن فيهِنَّ وَإِن مِن شَيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلكِن لا تَفقَهونَ تَسبيحَهُم إِنَّهُ كانَ حَليمًا غَفورًا ﴾ (الاسراء، 44)، ورد في تفسير ابن كثير[4]" أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أن الايمان بالله وتوحيده ليس مقصورا على المخلوقات العاقلة فقط بل يعتبر فطرة عامة في الجمادات والحيوانات والنباتات، يقول تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾(الرحمن، 6)

ب- نظام اللغة: -

فطر الله جل جلاله معظم الكائنات الحية على النطق وهيأها لذلك يقول تعالى: أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿8﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿9﴾(البلد: 8- 9)، ويقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ أن هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾(النمل: 16).تمثل اللغة مشترك عام بين الكائنات الحية ولها أشكال متعددة "المنطوقة والرمزية والتأشير الكيميائي والخلوي " وهو جزء من أي عملية اتصال تتحكم في الأنشطة الأساسية للخلايا وتنسيق جميع أنشطة الخلية كقدرة الخلايا على الإدراك والاستجابة بشكل صحيح للبيئة الفيسيولوجية، لإصلاح الأنسجة، وحمايتها، فضلا عن توازن الأنسجة الطبيعية. الأخطاء في تفاعلات الإشارة ومعالجة المعلومات الخلوية هي المسؤولة عن أمراض مثل السرطان، المناعة الذاتية، ومرض السكري. من خلال فهم إشارات الخلية، يمكن علاج الأمراض بشكل أكثر فعالية، ومن الناحية النظرية، قد يتم إنشاء الأنسجة الاصطناعية. (Smith, RJ; Koobatian, MT; Shahini, A; Swartz, DD; Andreadis, ST (2015).

وتعتبر اللغة من أهم وسائل الاتصال بين الأفراد والجماعات وهي من الأشياء التي فطر عليها الإنسان وقد قام بعض العلماء بإضافة اللغة كمنعكس فطري (StevenPinker,1994) في مؤلفه غريزة اللغة (The Language Instinct). افترض أن الملَكة اللغوية للإنسان هي نزعة فطرية أو سلوك فطري يتشكل عن طريق الانتقاء الطبيعي والتكيف مع احتياجات الاتصالات لدى البشر، أما الحيوانات الأخرى فلها طرقها الخاصة في التواصل، كما اثبت (زغبوش، 2012) انه تتم معالجة المعلومات التي يستقبلها الطفل من خلال مستويين أحدهما البنيات المعرفية الفطرية الكونية المشتركة بين الأفراد.

(4) تفسير ابن كثير موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

إن نظام النمو في الكائنات الحية هو الذي أعطى النسق والمنهجية لجميع العلوم كما يعتبر قاعدة تستند عليها البحوث الحيوية والاجتماعية، فالنمو اللغوي لدى الإنسان يعتبر سمة فطرية عامة وهذا ما خلص إليه (زغبوش، 2015) من أن النمو اللغوي توجه فطري يميل كل الميل إلى أن محتوى الذهن مستقل عن التأثيرات الخارجية، حيث استشهد بما توصل إليه شومسكي (Chomsky,1959,55) الذي يقر بعدم إمكانية شرح اكتساب اللغة إلا من خلال قدرات فطرية موجودة حتى قبل الميلاد. وهو يعتبر أن البنيات المعرفية واللسانية تعبير عن برنامج وراثي كوني، فالإنسان يمتلك حالة أولية، (بمعنى حالة سابقة على التجربة) تفيد أن للذهن محتوى قبليا منذ الميلاد مستقل عن التأثيرات الخارجية، وقد دفعت اللغة بعض اللسانيين إلى افتراض وجود بنيات لسانية فطرية وكونية خاصة بالإنسان؛ في حين أن أو الكفاءات المعرفية الأخرى ليست كذلك، هذه البنيات اللسانية الفطرية نتجت عن تأثيرات تاريخ الثقافة الإنسانية، من حيث أن الكفاءات اللسانية تطورت قبل أن تتفرق الكائنات الإنسانية شعوبا متمايزة. وقد عرف هذا التوجه امتدادات له مع بعض التوجهات الفطرية في الحقل السيكولوجي والفونولوجي.

ف- المظاهر النفسية والمعرفية:

تتشارك الكائنات الحية كثير من نظم الفطرة النفسية والمعرفية ومن أمثلتها:

أ- الدوافع:

الدافع هو استعداد الفرد لبذل الجهد أو السعي من اجل تحقيق هدف معين ويحتوي على شقين هما النشاط العام أو الطاقة العامة واستقطاب هذا النشاط في اتجاه بعينه بحيث يتم توظيف هذا النشاط لخدمة هدف بذاته بعد أن كان غير محدد وعاما(خليفة & عبد الله، 2011، 17، 24). تتشارك الكائنات الحية كثير من نظم الفطرة النفسية والتي يمكن أن تصنف كدوافع "فسيولوجية" وهي عامة وتؤدي وظيفة المحافظة على بقاء الكائن الحي واستمرار النوع كدافع الامومة الذي يظهر بوضوح كلما ارتقى الكائن الحي وكذلك الدافع الجنسي الذي يعمل على حفظ النوع من الانقراض يقول جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا أن أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ أن اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجر، 13) ويعتبر الزواج من النظم العامة للفطرة في كل المجتمعات ويقابله التزاوج عند الحيوانات واستمرار وجود الأسرة في سائر المجتمعات إلى يومنا هذا يعتبر خير شاهد على فطرية الزواج. ويستخدم مفهوم الدوافع النفسية والاجتماعية لتصنيف فئة عريضة من الحالات النفسية التي لا تربطها علاقة مباشرة بالتكامل البيولوجي للكائن الحي وتنقسم إلى دوافع داخلية (حب الاستطلاع، ودافع الكفاءة، ودافع الإنجاز) ودوافع ذات أبعاد خارجية (الانتماء، الامن، التنافس، والسيطرة) ولا يمكن فهم الدوافع الا في إطار التفاعل فيما بينها (خليفة &عبد الله، 2011، 70- 71).

ومن أهم خصائص الفطرة العامة لدى الكائنات الحية تكامل الوظائف النفسية واالفيسيولوجية اللتان يؤثر كل منهما على الآخر ويشار إلى هذا في علم النفس بالسيكو سوماتية"Psycho- somatic"، ورد في الحديث النبوي الشريف عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)) رواه مسلم: 1999/4)

ب- الذكاء:

على الرغم من تعدد نظريات الذكاء إلا أن معظمها يركز على التفاعل بين الوراثة والبيئة، كما أن تعدد النظريات يعد نتاجا طبيعيا لتعقد وتشابك مفهوم الذكاء وبالتالي لا يمكن وصف النظريات المفسرة للذكاء بكونها صحيحة أو خاطئة باعتبارها نوافذ متعددة الوجوه للذكاء الإنساني .ومن أقرب النظريات إلى المفهوم الفطري، نظرية (تشارلز سبيرمان: Spearman) حيث يرى أن الذكاء يتكون من عاملين عام تشترك فيه كافة النشاطات العقلية و

عامل خاص بكل نشاط من هذه الانشطة وكذلك نظرية النماذج الهرمية (كاتل: Cattell) التي تصنف الذكاء إلى سائل ومتبلور وتؤكد على أهمية العوامل البيئية والثقافية في تحسين القدرات المعرفية وكذلك نظرية التفكير المنطقي (بياجية: Piggott) الذي يرى أن الوظائف العقلية عبارة عن خصائص عامة للنشاط وهي ثابتة أما الابنية العقلية فهي التي تتغير مع العمر نتيجة تفاعل الفرد مع البيئة(العتوم واخرون، 2005).أما النظريات الحديثة في الذكاء لا تنكر دور الوراثة ولكنها تؤكد على اهمية دور البيئة (النظرية الثلاثية للذكاء البشري(ستينبيرج: Sternberg)، نظرية الذكاء المتعدد (جاردنر: Gardner)، (القحطاني، 2016، 223- 227).

يقول تعالى: ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغافِلونَ﴾(الأعراف: 179) لقد فطر سبحانه وتعالى الإنسان وهيئه للتفكير والإدراك وزوده بأعضاء الحس ليستعين بها على التفكير فمنهم من فعلها وسخرها للهدى ومنهم من لم يفعل لان النظر غير البصر يقول تعالى: ﴿وَإِن تَدعوهُم إِلى الهُدى لا يَسمَعوا وَتَراهُم يَنظُرونَ إِلَيكَ وَهُم لا يُبصِرونَ﴾(الأعراف: 198) وهذا يدل على أن القدرة على الادراك هي الفيصل في الجزاء والحساب، لقد خلصت الدراسات التجميعية إلى أن الذكاء فطرة عامة لدى البشر ولكنه يتحور كفطرة متخصصة في عمر محدد ويعتبر ما نسبته " 20- 40%"من ذكاء الطفل موروث من الأبوين فيما ترتفع هذه النسبة لتشكل70- 80% من ذكاء الشخص البالغ، وقد طرحت هذه النتائج سؤالا جديدا وهو لماذا تتغير هذه النسبة بين الطفولة والرشد؟، وذلك ما يدعى بتأثير ويلسون(Wilson's Effect) وهو المصطلح الذي يطلق على زيادة تأثير المورثات والجينات المسئولة عن الذكاء في الشخص مع التقدم في العمر، تم اثبات هذا التأثير عن طريق عدة دراسات على التوائم الا أن آليته ليست واضحة بالكامل بعد وقد تعود إلى مورثات مسئولة عن الذكاء تبدأ بالعمل في مراحل متأخرة (Bouchard,ThomasJ, 2013).

إن النظام الإنساني لمعالجة المعلومات هو الذي يتحكم بعملية معالجة المعلومات، وان هذا النظام في إطاره الفطري العام وهيكله ثابت لدى جميع الافراد، لكن طبيعة العمليات العقلية التي تجري فيه تختلف من شخص لآخر وهذا يرجع إلى عوامل عديدة تتعلق بالخصائص الشخصية والخبرات التي يمتلكها الافراد والتي قد تنعكس على شكل استجابة مختلفة من قبل الافراد ازاء نفس المعلومات التي أتيحت لهم او ازاء نفس المواقف مما يخلق بالتالي تباينا في الانماط الشخصية لمعالجة البيانات، ومن هذا المنطلق قد تطور علم النفس الفارق، وكذلك تم طرح هذا المفهوم أيضا ضمن نظرية معالجة المعلومات الإنسانية من قبل كل من (Streufert&Schroder.1976) حيث أشارا إلى أنواع هياكل الذاكرة الإنسانية المستخدمة في ادراك المعلومات وتنظيمها واسترجاعها وقد أوضحا أن الأفراد يختلفون في اساليب معالجتهم للمعلومات واوعز ذلك إلى اختلاف عملياتهم الادراكية للبيئة الخارجية وبالنسبة لهذين الباحثين أن درجة التعقيد لها تأثير في اسلوب معالجة الافراد للمعلومات حيث أن الافراد الذين تزداد درجة تعقيدهم الإدراكي تكون درجة معالجتهم للمعلومات على درجة اعلى من التعقيد اي لديهم قدرة على معالجة حجم اكبر من البيانات قياسا بذوي النمط الابسط او الاقل تعقيدا (Model decision Behavioral)واتخذت نتائج ابحاثهم من هذه النماذج اساسا لفهم النظام الإنساني في معالجة البيانات، هذه المعلومات تؤمن على أن الذاكرة في الأصل موروثة وان البيئة مسئولة عن اختلاف أساليب المعالجة.

ج- التفكير:

تعتبر ملكة التفكير من السمات التي يتميز بها الإنسان على معظم المخلوقات يقول تعالى: ﴿وَلَقَد كَرَّمنا بَني آدَمَ وَحَمَلناهُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَرَزَقناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلناهُم عَلى كَثيرٍ مِمَّن خَلَقنا تَفضيلًا﴾(الاسراء: 70) ورد في معجم المعاني- التفسير الميسر- ولقد كرَّمنا ذرية آدم بالعقل وإرسال الرسل، وسَخَّرنا لهم جميع ما في الكون، وسَخَّرنا لهم الدواب في البر والسفن في البحر لحملهم، ورزقناهم من طيبات المطاعم والمشارب، وفضَّلناهم على كثير من

المخلوقات تفضيلا عظيمًا. ولقد وصف القرآن الكريم الذين يفكرون بإيجابيه بأولى الالباب، فالقرآن يركز على نوعية التفكير وليس على التفكير في حد ذاته والملاحظ أن المفردة " فكر " وردت في القرآن الكريم مرة واحدة يقول تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴿18﴾فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿19﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴿22﴾ثُمَّ أَدْبَرَ وَاستَكْبَرَ﴿23﴾ فَقَالَ أن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴿24﴾ أن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴿25﴾ (المدثر: 18- 25)، ورد في تفسير الطبري[5] أن الوليد بن المغيرة فَكَّرَ وَقَدَّرَ، قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وَما يعلى عليه، وما أشكّ أنه سحر، فأنزل الله فيه: (وقد أورد ابن كثير[6] (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدّر) أي: تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن، ففكر ماذا يختلق من المقال، في الآيات الكريمات السابقات دلالة على أن الإنسان في الأصل مفطور على التفكير ولكن تقدير التفكير يتأثر بالبيئة بدليل أن الوليد بن المغيرة غير مسار تفكيره متأثرا بالبيئة حوله وبعد أن قال الحق في وصفه للقران الكريم رجع وغير رأيه وقال عن القرآن أنه سحر يؤثر وأنه قول البشر. أن التفكير في حد ذاته يعتبر محايد أما كيفيته فتخضع للعوامل الذاتية للفرد التي يمكن أن توجه مخرجاته اتجاها إيجابيا او سلبيا.

د- السلوك الفطري لدى الكائنات الحية:

تشترك كثير من الكائنات المصنفة تحت المملكة الحيوانية في بعض السلوكيات الفطرية كالنظافة خاصة لدى البشر، وقد وردت أحاديث تشير إلى السلوك الفطري المعتاد، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، يعني الاستنجاء" قال الراوي: ونسيت العاشرة إلى أن تكون المضمضة) (رواه مسلم ابن الحجاج في الصحيح حديث رقم 125/604)

ومن أهم السلوكيات الفطرية المعتادة لدى الكائنات الحية:

أ- سلوك الرعايةseeking- Care Behavior : وهو حماية الكبار للصغار وهو سلوك متدرج في الحيوانات حسب تدرجها.

ب- السلوك الجنسيSexual Behavior : وهو ما يبدأ به كل من الذكر والأنثى البالغين تجاه بعضهم البعض، كما أن الهرمونات الجنسية تلعب دورا.

ج- سلوك الاستطلاعExploratory Behavior : وهو سلوك يتصل بحب الحيوان في التعرف على ما يدور حوله حتى يكون على بينة من بيئته وعلاقته بها.

د- سلوك العراك والعدا: Agonistic Behaviorومن دوافعه وجود • مختلفة، منها على سبيل المثال الدفاع عن الحوزة أو الهجوم أو الاعتداء ويتخذ هذا النوع من السلوك أشكال مراكز عصبية في المخ تثار عند تنبيهها بواسطة الغضب أو الخوف.

هـ- السلوك الغذائي • Feeding Behavior وهو قدرة الحيوان على البحث عن مصادر الغذاء واختيار ما هو أفضل وموجود في البيئة التي يعيش فيها

و- سلوك طلب المأوى • shelter of Seeking Behavior وفيه يبحث الحيوان عن المكان المناسب، ليحمي نفسه من الأعداء الطبيعيين (عجارم، بدون، 10).

(5) تفسير الطبري- المصحف الالكتروني بجامعة الملك سعود http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91

(6) تفسير بن كثير- مرجع سابق.

ويقوم النبات ببعض السلوكيات الفطرية المشاهدة ومن أمثلتها (سقوط أوراق بعض النباتات أثناء فصل الشتاء للتغلب على درجة الحرارة المنخفضة أو للتخلص من الفضلات الناتجة عن عمليات الأيض، اغتذاء بعض النباتات على الحشرات للحصول على عنصر النيتروجين حيث تعيش هذه النباتات في تربة تفتقر إلى النيتروجين، تفتح أزهار بعض النباتات في الصباح وغلقها في المساء نتيجة استجابتها لمؤثر معين، هناك بعض النباتات تبسط أوراقها في النهار وعند حلول الظلام تغلقها على بعضها وقد تغلق بعض النباتات أوراقها بمجرد ملامسة الإنسان لها وهذا يدل بوضوح على استجابتها لمؤثر خارجي).

كما أثبتت الدراسات الحديثة أن النبات كغيره من الكائنات الحية يتميز بالخواص العامة للفطرة كقدرته على الإدراك والتذكر تتمثل في الشعور والاستجابة للبيئة وتستخدم تخصصات مثل علم وظائف الأعضاء النباتية وعلم البيئة والبيولوجيا الجزيئية لتقييم هذه القدرة. تتفاعل النباتات مع المواد الكيميائية والجاذبية والضوء والرطوبة والالتهابات ودرجة الحرارة والأكسجين وثاني أكسيد الكربون وتركيزات الطفيليات والمرض والاضطراب الفيزيقي والصوت، واللمس (Leendert C. van Loon,2016)، والنباتات يمكن أن تكون لديها ذاكرة جينية (وراثية) في الخلية تستطيع بواسطتها أن تميز بين الشتاء والربيع، وتسجل في هذه الذاكرة المادة الوراثية للخلية، ويتم توريثها بشكل مستقر خلال انقسام الخلية. ووجد العلماء أن النباتات التي تمر بعملية الإزهار تستطيع معرفة ربيعها، حيث تساعدها الذاكرة الجينية على تذكر أنها قد مرت بفترة طويلة من الشتاء البارد، والانتظار إلى حين مجيء فصل الربيع، لتتهيأ للإزهار في الوقت المناسب. وتتسق الأنشطة الاتصالية في النباتات مع وظيفتها الرئيسية وهي جمع الضوء لتوفير الركيزة الضوئية للنظام البيولوجي لتصنيع الغذاء، أما الحاجة إلى التلقيح، وانتشار البذور، والحماية من الحيوانات العاشبة القدرة على السلوك التكيفي. ومن أنواع السلوك النباتي التي توفر دليلا على قدرات الذاكرة والاتصالات القدرة على قياس الوقت، وأدلة واسعة على أنظمة الإشارات الكيميائية. تقوم بتوفر هذه فوائد للنظام الجيني، وتشتيت البذور والحماية. ويشكل نظام التشوير الكيميائي شبكة اتصالات لاسلكية حيث تتقاسم النباتات نظم الإشارات الكيميائية في معظم الأحيان مع الحشرات والطيور. ويمكن تفسير هذه السلوكيات القابلة للتكيف المفيدة على أنها نوع من الوعي.(Leopold AC .2014)

6- السنن الكونية:

اقتضت حكمة الخالق أن يسير هذا الكون على النظام الذي فطر عليه وهذا ما يسميه البعض بالمسلمات تعبيرا عن الفطرة التي هي اشمل من المسلمات ويستقيم الكون ما استقامت الكائنات المكلفة على الفطرة فإذا ما انحرف الإنسان عن الفطرة فسيعاني نتيجة لذلك الانحراف الذي قد تكون نتائجه ذات مردود سيئ عليه وعلى من يتواجدون في محيطه، وبما أن نظام الفطرة يعتبر عاماً ويشمل كل الكون فليس من الضروري أن تكون الأسباب الدينية فقط هي التي تؤدي إلى اختلال السنن الكونية مع العلم أن التدين أو الالتزام الديني الصحيح يفترض أن يدعم السلوك الفطري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"(البخاري في الأدب المفرد (168/1)(ومثال على ذلك القطع الجائر للأشجار قد يؤدي إلى تحول بيئي خطير تنتج عنه اضرار وتغيرات مناخية وجغرافية في المنطقة التي تتعرض لذلك فإذا افترضنا أن قطع الأشجار قد صار سلوك عام لدى كل البشر فبالتأكيد النتيجة ستكون تحول مناخي وبيئي كامل قد يتسبب في اختفاء أو انقراض حلقات كثيرة من الدورات الحياتية ويعرض الكائنات الحية للانقراض.

أما الخلل الذي يعتري فطرة البيئة أو المجتمعات؛ فغالبا ما يعزى إلى السلوك غير الفطري المنسوب إلى جماعة أو مجتمع ما، وقد وردت هذه النماذج في القرآن الكريم، ففي قصة القرى التي انعم الله عليها بالبساتين على طول المسافة بين القرية والقرية التي تليها وقد خالف أهلها السلوك الفطري يقول جل جلاله: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿15﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿16﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ ﴿17﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿18﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿19﴾(سبأ، 15- 19)، ورد في معجم المعاني [7] " فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السد وأغرق البساتين، وبدَّلناهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتَيْ أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثْل وهو شجر شبيه بالطَّرْفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبْق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله، وما يعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجَحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلا بمثل. وجعلنا بين أهل "سبأ"- وهم "باليمن"- والقرى التي باركنا فيها- وهي "الشام"- مُدنًا متصلة يُرى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيرًا مقدَّرًا من منزل إلى منزل لا مشقة فيه، وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أيِّ وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًّا، ولا جوعًا ولا عطشًا. فبطغيانهم ملُّوا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفَرَّقناهم كل تفريق وخربت بلادهم، أن فيما حل "بسبأ" لَعبرة لكل صبَّار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى. "

إن التغير الذي حدث لأهل سبأ بسبب مخالفتهم للسلوك الفطري هو تغير بيئي وتحول في نوعية الغطاء النباتي حيث أدى الانجراف الذي اصاب التربة بواسطة السيل إلى التحول الكامل في المنتج النباتي من فواكه وخضروات وغطاء نباتي كثيف إلى نباتات شبه صحراوية (السدر)، فقد خالفوا الفطرة حتى في ميولهم واتجاهاتهم نحو النباتات والبساتين حين سألوا الله سبحانه وتعالى أن يباعد بينهم وبين أسفارهم، وقد ورد السدر في حديث معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قاطع السدر يصوب الله رأسه في النار ". رواه البيهقي (6 / 141) وحسَّنه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " /615، وقال تحت الحديث السابق: تأوله أبو داود بقوله " هذا الحديث مختصر، يعني: " من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها: صوب الله رأسه في النار" .، ترى الباحثة أن هذا الحديث فيه اعجاز علمي فنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر فيه إشارة إلى تفهمه لخطورة الأمر لأن وجود شجرة السدر يعني أن المنطقة قابلة للتحول البيئي من سيئ إلى أسوأ مما يتبعه تغير في جغرافيا المكان ليصير صحراء جرداء خالية حتى من السدر.

أما قصة قارون فقد دلت على مخالفته الفطرة حين عمل على كنز المال فاختل النظام الاقتصادي بالمنطقة وكثر عدد الفقراء بسبب تكتل الثروة لدى فئة محدودة من الناس ولم يحمد الله بل كفر النعمة وادعى أن ما عنده كان فقط نتيجة لذكائه وخبرته يقول جل جلاله: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكثر جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿78﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ

(7) معجم المعاني موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُلَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿79﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إلا الصَّابِرُونَ ﴿80﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرض فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿81﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿82﴾(القصص، 78-82)، ورد في تفسير الطبري[8] إنما أوتيتُ هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم. فقارون قد خالف الفطرة حين نسب إلى نفسه ما ليس له فالعلم هو نعمة من نعم الله وكذلك خالف الفطرة حينما استغل هذا المال في مظاهر الغرور والرياء وأثار دافعية الفقراء فصدقوه وصاروا يتمنون الثراء الفاحش بما بهرهم به من زينة الدنيا وزخرفها.

نماذج لمجالات النظم المتخصصة للفطرة:

يقول تعالى: أَلَمْ تَرَ أن اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿27﴾وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ أن اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿28﴾(فاطر: 27- 28) هاتين الآيتين تؤكدان أهمية النظم المتخصصة للفطرة في تحقيق الأهداف الوجودية بالكون فهي نتاج لتدرج الفطرة العامة في الخصائص والوظائف الجزئية المتخصصة لدى الفرد والتي يكتمل ظهورها عند وصول نمو العضوية إلى درجة النضج لمكوناتها الجسمية والنفسية وتمثل امتداداً لسمات النوع الواحد التي تظهر على مجموع البنية العضوية ويمكن تصنيفها على مستوى الفرد وعلى مستوى العضو وعلى مستوى الكائن أو الخلية الواحدة. وبناء على النظم المتخصصة للفطرة تظهر الاختلافات النوعية على مستوى البنية الكلية للعضوية تسمى فروق فردية؛ عند مقارنة فرد أو كائن بأفراد نوعه.

1- الإنسان:

- الفطرة في النظم البيولوجية:

أ- الذات الجسمية:

تظهر الفطرة المتخصصة في اختلاف الشكل والحجم والطول واللون يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ أن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(الروم: 22)، كما تظهر على مستوى الوظيفة الفسيولوجية للأعضاء يقول تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرونَ ﴾(الأنعام: 50) وكذلك تظهر كصفة جسمية تميز صاحبها عن غيره يقول تعالى في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ أن اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ أن اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 247).

ب- الانشطة اللا- إرادية بالجسم:

من امثلة الانشطة اللا- ارادية بالجسم ضربات القلب، التنفس، الهضم فيتم التحكم بها عن طريق الدماغ لا شعورياً "unconsciously "بشكل خاصمن خلال الطريقة التي يعمل بها الجهاز العصبي التلقائي أما الفعاليات

(8) تفسير الطبري موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود /مرجع سابق

العقلية "العليا" أو المعقدة مثل التفكير والاستنتاج reason والتجريد فيتم التحكم بها بشكل واع إرادي ..Toga, W. B (2006)، كذلك النمو والنضج وبعض المنعكسات مثل الرضاعة وسحب اليد عند لمس اشياء ساخنة(BBC,2014,2).

ويعتبر التأشير الخلوي (Cell signaling) مثال حي للوظائف الفطرية للخلايا (نظام معقد للتواصل بين الخلايا يحكم الفعاليات الخلوية الأساسية والوظائف الخلوية الموجهة- فهي عمليات تبادل الإشارات بين الخلايا وقابلية الخلايا لتلقي الاستجابة بشكل صحيح لبيئتها المصغرة هو أساس النمو، كذلك ترميم النسج وإصلاحه، و- أيضاً- المناعة بالإضافة للتوازن النسيجي الخلوي الداخلي(homeostasis) أي خطأ في عمليات نقل المعلومات الخلوية يكون مسؤولا عن أمراض خطيرة مثل السرطان وأمراض المناعة الذاتية وداء السكري. لذلك يحتل فهم عمليات التأشير الخلوي أهمية خاصة لمعالجة تلك الامراض،- أيضاً- قد يساعد هذا في بناء نسج صناعية) (Wang, K; (Grivennikov , SI; Karin, M (2013)

ج- البصمة الوراثية: DNA profiling

يقول تعلى: أَيَحْسَبُ الْإِنسان أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿3﴾بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿4﴾(القيامة: 3- 4) لقد خلق الله الإنسان واودع فيه بصمة لا يمكن أن تتطابق مع بصمة شخص اخر، والبصمة الوراثية يعرفها (Murphy, Erin (2017- 10- 13) بأنها أحد وسائل التعرف على الشخص عن طريق مقارنة مقاطع من الحمض النووي منقوص الاكسجين ويمكن اخذها من العرق والسائل النووي واللعاب وكل ما يلمسه الشخص يعتبر بصمة وراثية فريدة لا تتكرر عند غيره.

د- العامل الريزيسي: Rhesus Factor

ويوجد هذا العامل في حوالي 85% من البشر بينما يفتقر له حوالي 15% منهم. فالأفراد الذين تحتوي خلايا دمهم الحمراء على هذا العامل تسمى بالأفراد الموجبة" Rhh+ " ، أما الأفراد التي لا تحتوي خلايا دمهم الحمراء على هذا العامل فتسمى بالأفراد السالبة" Rh -" ، وهذا العامل مهم في عمليات نقل الدم ولذلك أصبحت عملية الدم لا تتطلب معرفة الفصائل الرئيسية فحسب ولكن تتطلب أيضاً معرفة هل الدم موجب أو سالب .كما أن هذا العامل مهم أيضاً لحياة الجنين وهو في رحم امه، إذا تزوجت امرأة سالبة العامل الرئيس من زوج موجب العامل الرئيس نتج كل نسلها موجبا لو كان الأب نقيا أو نصف موجب والنصف الآخر سالب لو كان الأب هجينا فإذا كان الجنين موجبا والأم سالبه فإن ما يتسرب من دم الجنين إلى دم الأم ينبه جهازها المناعي لإنتاج أجسام مضادة لعامل ريسي يعود إلى الجنين عبر المشيمة فيعمل على تحلل كريات الدم الحمراء للجنين و إصابته بأنيميا حادة وعادة لا يصاب الطفل الأول بأذى ولكن من يأتي بعده يتعرض لجرعات أكثر من الأجسام المضادة، قد تؤدى إلى موته .

الفطرة في النظم المعرفية للشخصية:

أ- نظم القدرات العقلية واللغة:

القدرات والسمات العقلية المتولدة عن الفروق الفردية تخضع للنظم المتخصصة للفطرة ولقد دل القياس السيكولوجي على انها موزعة بين الافراد توزيعا طبيعيا، بمعنى أن اغلبية الناس على درجة متوسطة من القدرة او السمة وان قلة منهم من تعلو قدراته وسماته عن المتوسط او تكون دونه (مصطفى&احمد، 2014، 213) وهذا يعني أن مستوى ذكاء الفرد يعتبر فطرة خاصة، يقول تعالى: ﴿نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ﴾ (يوسف: 76).

الاستعداد الوراثي للكلام فطرة عامة أما الملكات المتولدة عن اللغة كالشعر وغيره من الابداعات ذات الصلة باللغة فتعتبر قدرات خاصة وتمثل فطرة متخصصة وقد خلص (زغبوش، 2012) في دراسته عن اللغة إلى أن مستوى البنيات المعرفية الفطرية الكونية مشتركة بين الأفراد أما مستوى الخصوصيات الفردية تتمثل في معالجة المعطيات بشكل متفرد، وفق متغيرات السياق (اللغوي، والاجتماعي، والثقافي).

ب- الفطرة المتخصصة في السلوك والنظم النفسية للشخصية:

يقول تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿7﴾فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿8﴾قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿9﴾وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿10﴾(الشمس: 7- 10) ورد في تفسير ابن عاشور[9]"التسوية تعديل الخلقة والإلهام حدوث علم بالنفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير فهو علم يحصل من غير دليل سواء ما كان منه وجدانياً كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية، وما كان منه عن دليل كالتجريبيات والأمور الفكرية والنظرية"

يرى البورت أن الدوافع الفطرية تتحور من ناحية مثيراتها، والسلوك الصادر عنها، وتخصيص أهدافها (احمد عزت راجح، 1991) وهذا يتفق مع خليفة وعبد الله من أن مفهوم الدافعية يحتوي على شقين هما النشاط العام أو الطاقة العامة، واستقطاب هذا النشاط في اتجاه بعينه. (محي الدين حسين، 1988) المذكور في (خليفه& عبد الله، 2011، 24). وهذا يدل على أن السمات الشخصية المتخصصة تأتي نتاج لتحور السمة العامة المشتركة وان هناك علاقة تفاعلية بين السمات المشتركة والسمة المتحورة وهذا ما توصل اليه (Ron. S& Nick. W, 2013 109–13) من أن الشخصية يمكن أن تستند أساسا إلى الغرائز الناتجة عن الدوافع البشرية الأساسية، جنبا إلى جنب مع العمليات ذات الصلة، ضمن بنية معرفية شاملة كما توصل (مكروم: 1995) المذكور في (المطوع، 2016، 4) إلى أن الشخصية تقوم على أساس فطري وان مكنون الفرد وقدراته تستند إلى فطرته.

وكما أن الجسم مفطور على الدفاع عن نفسه ضد الاجسام الغريبة فكذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فطر الإنسان على الآلية التي تحفظ صحته النفسية فجعل له نفسا لوامة تؤنبه إذا ما أخطأ وتدفعه دفعا إلى التوبة والرجوع وبهذه الطريقة يحافظ الفرد على سلامة فطرته من الاضطراب، فالإنسان بتكوينه النفسي والجسمي مزود بالسمات والمواصفات التي تساعده على أداء سلوك الدور الذي خلق من أجله فقط فإذا ما استطاع الفرد أن يحقق الاستقامة على النهج الذي اختط له شعر بالسعادة والرضا، أما إذا لم يستطع أن يحقق الاستقامة جزئيا أو كليا، عندها يشعر بالتعاسة وعدم الرضا بقدر ما أخفق،

ويولد الطفل وهو مزود بذاكرة الفطرة السليمة ولكن البيئة قد تكسب الفرد من السمات والعادات ما لا يتوافق مع الفطرة لذا نجد أن الإنسان مهما ابتعد أو انحرف عن الطريق المستقيم يستطيع أن يعود إليه في أي لحظة في حال توفرت عنده النية حيث تلعب ذاكرة الفطرة دورا رقابيا على الجانب الإرادي من شخصية الإنسان فوجود فجوة ما بين الفطرة والسلوك الواقعي يولد الشعور بتأنيب الضمير واللوم والإحساس بالذنب لدى من يدرك أنه مذنب، يقول جل جلاله: لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿1﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿2﴾(القيامة، 1- 2) وكذلك الإحساس بعدم الرضا والطمأنينة والشعور بالقلق والاكتئاب لدى من لا يدرك أنه مذنب يقول تعالى: ﴿وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فإن لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أعمى ﴾(طه: 124)، وهكذا نجد أن الفطرة لها دور كبير في تقويم الشخصية الإنسانية وهذا ما عبر عنه (الفرد ادلر،، 2005، 15) من أن الأفعال يمكن أن تتغير وكذلك ردود

(9) تفسير ابن عاشور/مرجع سابق
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

الأفعال- خاصة الناتجة عن الخبرة حيث تتطلب قيما جديدة وعندما تكون قدرات الفرد وقواه على التعلم الذاتي والنقد الذاتي حية وتؤدي وظيفتها بطريقة جيدة فقدرتنا على فهم انفسنا تزداد مع ازدياد قدرتنا على تحديد مصدر افعالنا والآليات التي تعمل بها عقولنا وإذا تفهمنا هذا يسهل علينا مواجهة انفسنا. ولقد عالج القرآن مشاكل السمات الشخصية والسلوكية بطرق شتى- تتوافق مع مبادئ وخصائص الفطرة الإنسانية-، يقول تعالى: " ﴿يا بَني آدَمَ خُذوا زينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ وَكُلوا وَاشرَبوا وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ ﴾(الأعراف، 31)، ورد في تفسير البغوي [10] "قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله، فأنزل الله- عز وجل " وكلوا " يعني اللحم والدسم " واشربوا " اللبن (ولا تسرفوا) بتحريم ما أحل الله لكم من اللحم والدسم، (إنه لا يحب المسرفين) الذين يفعلون ذلك " ويقول تعالى: ﴿وَلا تَجعَل يَدَكَ مَغلولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبسُطها كُلَّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلومًا مَحسورًا ﴾(الإسراء، 29)، وجاء في تفسير القرطبي [11]" قال ابن عرفة: يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف"

وخلاصة القول هو أن الشخصية الإنسانية متفردة وتعتبر نواتجها فطرة متخصصة تميز الفرد عن غيره من الافراد فقد أشار العلماء إلى عدد كبير من السمات النفسية والسلوكية التي تمثل أساس الشخصية الا أن القرآن الكريم لخص هذه السمات في سمتين رئيستين هما الصدق والعطاء يقول تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿5﴾وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿6﴾فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿7﴾وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستغْنَى ﴿8﴾وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿9﴾فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿10﴾(الليل: 5- 10) و يمثل الايثار سمة فطرية متخصصة تتسق مع مقدار ايمان الفرد، يقول تعالى: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾- الحشر، النفس بفطرتها تميل إلى العطاء ودرجة الايمان تحدد مقدار العطاء، ويمثل الشح أدنى درجات العطاء ويشير إلى تدني درجة الايمان والتصديق لدى الشحيح، يقول تعالى: فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴿31﴾ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿32﴾- القيامة، ورد في تفسير ابن كثير" هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا" هذا التفسير يدل على أن التصديق بالحق والايمان به هو الدافع الرئيس الذي يجعل الفرد يترجم العلم بالشيء إلى العمل به يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(ال- عمران: 134)

2- نظم الفطرة المتخصصة في (النحل، السحلية والعنكبوت):

يقول تعالى: وَأَوحى رَبُّكَ إِلى النَّحلِ أَن اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعرِشونَ ﴿68﴾ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ أَن في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ ﴿69﴾(النحل: 68- 69)، انتاج العسل مقصور على النحل وكل نحلة تنتج العسل بطريقة متفردة حيث تختلف خصائص العسل المنتج من نحلة إلى أخرى فيتشكل مزيج متجانس مختلف الوانه ما بين خلية وأخرى ومنطقة وأخرى ومصداقا لقوله تعالى يستخدم العسل في علاج كثير من الامراض والجروح ويدخل في تركيبة كثير من

(10) تفسير البغوي مصحف الالكتروني لجامعة الملك سعود
http://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu
(11) تفسير القرطبي موقع المصحف الالكتروني /جامعة الملك سعود
http://quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

الادوية. وقد اكدت نتائج الأبحاث الحديثة أن عسل النحل غني بالمعادن والفيتامينات ومضادات الاكسدة ومفيد لمرضى السكري كما انه يساعد في شفاء القروح ومرض السعال وامراض القلب ويعمل على خفض الضغط المرتفع وخفض الكولسترول الضار بالدم (Kris. G, 2017)

يقول تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾(العنكبوت: 41)، تتفرد العنكبوت بالطريقة التي تبني بها بيتها مقارنة بمثيلاتها وقد توصل ((Rising. A, and & Johansson.J: 2014) إلى أن سبيدرونز (البروتينات التي تتحول إلى حرير يجب تحويل من شكل قابل للذوبان إلى الألياف الصلبة في درجات الحرارة المحيطة، مع الماء كمذيب، وبسرعة عالية.) هي بروتينات كبيرة تحتوي على تسلسل متكررة في الغالب، ولكن البروتينات الأكثر أهمية لتحويل سيبدرون إلى الحرير هي نهايات هذه المناطق النهائية من البروتينات وهي فريدة من نوعها إلى حرير العنكبوت وهي متشابهة جدا بين العناكب المختلفة. وعند تحويلها إلى الحرير يتغير هيكلها تماما ليعطي درجة عالية من الاستقرار الميكانيكي ويتسم الحرير المنتج فطريا بخفة الوزن وهو اقوى وأكثر صلابة من الفولاذ.

كما تتفرد السحالي بخاصية بتر الزيل عند مواجهة العدو وتجديد خلاياه مرة أخرى تختلف هذه الالية من سحلية إلى أخرى وقد توصل (Elizabeth D. Hutchins&etal: 2014) إلى أن تحليل استنساخ الجينات الموجودة في الحمض النوويDNA إلى حمض ريبوز نوويRNA ، كشف عن الجينات المسؤولة عن تركيب هرمونات الغدة الدرقية حيث يشير هذا إلى وجود صلة بين تجديد الذيل والتغييرات التي تحدث للعضلات والعظام أثناء عملية التحول. عندما تفقد سحلية ذيلها يتم تنشيط جينات وخلايا خاصة لإعادة بنائه من جديد.

3- نظم الفطرة المتخصصة في النباتات (الفواكه نموذجا):

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي أَنشَأَ جَنّاتٍ مَعروشاتٍ وَغَيرَ مَعروشاتٍ وَالنَّخلَ وَالزَّرعَ مُختَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُتَشابِهًا وَغَيرَ مُتَشابِهٍ كُلوا مِن ثَمَرِهِ إِذا أَثمَرَ وَآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفينَ﴾(النحل: 141)، الفواكه من النباتات التي تتميز فيها الفطرة المتخصصة بوضوح فثمرة العنب تختلف خصائص اللون فيها من شجرة لأخرى من حيث تعدد الألوان (اخضر، أحمر وأسود) او تدرجها في اللون الواحد وهكذا التفاح وكثير من الفواكه.

4- نماذج لنظم الفطرة المتخصصة في الجمادات (الجبال وبعض المعادن "الحديد، الذهب والفضة":

الجبال من الكائنات التي خصها المولى عز وجل بصفات فردية فكل جبل يتميز عن غيره في الشكل والارتفاع أو اللون يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(فاطر: 27) وكذلك تتميز الجبال بالحركة غير المحسوسة عيانا يقول جل جلاله في محكم تنزيله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(النمل: 88)، هذه الآية توضح لنا قصور الوعي الإنساني عن إدراك بعض خصائص الخلق عن طريق الملاحظة الحسية العادية، فحركة الجبال من الأمور التي تم اكتشافها حديثا. فالمخلوقات- جميعاً- مرهونة بالنظم المفطورة عليها سواء أكانت مدركة أو "غير مدركة" حسيا.

وكذلك نجد أن الأنهار والبحار تتميز عن بعضها البعض بتفاوت الصفات الفيزيقية والكيميائية مصداقا لقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ (الفرقان: 53) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(فاطر: 12) تدل الآيات السابقات على أهمية تنوع النظم المتخصصة للفطرة في إثراء التنوع الحيوي للمنتجات البحرية.

للمعادن اهمية كبيرة في حياة الناس وكل معدن يؤدي وظيفة ومنفعة مختلفة عن غيره من المعادن تمثل فطرة متخصصة يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ أن اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد: 25) وقد ذكر القرآن اهمية مميزات خاصية انصهار الحديد في الصناعات وفي بناء البنية التحتية كالسدود والكباري يقول تعالى في قصة ذي القرنين: آتوني زُبَرَ الحَديدِ حَتّى إذا ساوى بَينَ الصَّدَفَينِ قالَ انفُخوا حَتّى إذا جَعَلَهُ نارًا قالَ آتوني أُفرِغ عَلَيهِ قِطرًا ﴿96﴾ فَمَا اسطاعوا أن يَظهَروهُ وَمَا استطاعوا لَهُ نَقبًا ﴿97﴾(الكهف: 96- 97)

لقد ذكر القرآن بعض المعادن النفيسة كالذهب والفضة اللذان لها مميزات خاصة وتستخدمان في كثير من الانشطة والمجالات التجارية والصحية وكزينة يقول تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَاستبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾(الإنسان: 21) وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾(الحج: 23)

نتائج البحث:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

1- المخلوقات جميعها تمثل مجالا للفطرة.
2- يوجد نوعان من نظم الفطرة "العامة وتمثل المشترك العام بين الكائنات " والنظم المتخصصة الفردية التي تميز كل كائن عن غيره من أفراد نوعه.
3- يوجد تفاعل بين النظم العامة والنظم المتخصصة للفطرة.
4- مجالات النظم العامة للفطرة ومن امثلتها (الذاكرة الكونية، السلاسل والدورات الحيوية، التكاثر والنمو، الجغرافيا والسمات العامة لتواجد الكائنات، النظم النفسية والاجتماعية، والسنن الكونية) أما مجالات النظم المتخصصة للفطرة فمن امثلتها (النظم في الشخصية الإنسانية، الحيوانات، النباتات والجمادات).

التوصيات: توصي الباحثة بإجراء مزيد من الدراسات في مجالات الفطرة المختلفة كل على حده كما توصي بإدراج موضوع الفطرة كموضوع اصيل بمراكز البحوث النفسية والاجتماعية والدينية والطبيعية.

المقترحات: دراسة التطبيقات التربوية لأدبيات الفطرة في مجال التعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم وتفسيره- المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود موقع:
http: //quran.ksu.edu.sa/index.php#aya=91_8&m=hafs&qaree=husary&trans=ar_mu

- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984) تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر: تونس
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1978): مقاصد الشريعة الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع
- ابن عاشور، محمد الطاهر (2004) مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإنسانية: قطر.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين (1414): لسان العرب، ج11، ط2، دار صادر. بيروت.
- احمد، مختار عمر(2008) معجم اللغة العربية المعاصر – المعاني، دخول2017/4/22، رابط http: //www. Almaany. com/ar/dict/ar-

- الالباني، محمد ناصر الدين (بدون): سلسلة الأحاديث الصحيحة مكتبة المعارف، دخول 2017/11/17، موقع http: //shamela. Ws/browse. php/book- 9442#page- 17
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (1418ه): صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط4 دار الصديق للنشر والتوزيع.
- القحطاني، عبد الله بن صالح(2016): علم النفس التربوي، مكتبة المتنبي، الدمام
- خاروف، حسن حلمي(2015) هجرة الحيوانات، https: //www.arab- ency.com/ar2018/3/5
- العتوم، عدنان يوسف&وآخرون(2005): علم النفس التربوي –النظرية والتطبيق، دار المسيرة: عمان.
- الزرقاني محمد عبد العظيم (بدون): مناهل العرفان في علو م القرآن، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- زغبوش، بن عيسى (2015): الكفاءات المكتسبة بين الفطرة والاكتساب، دخول2017/11/1، موقع: http: //www. Psy- cognitive. Net/vb/t3918. Html
- زغبوش، بن عيسى. (2012). "النمو المعرفي للطفل بين الذهن والدماغ والثقافة". الكويت: مجلة الطفولة العربية. العدد 51 (55- 73.(
- الشنقيطي، محمد مختار (2013): البحث عن دين الفطرة- دخول2017/10/11- https: //docs. Google. com/file/d/0B8Rqgq3ngNxgampjdWVfVF94dTg/edit
- صابر خليفة (2009): مبادئ علم النفس، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن: عمان.
- طه عبد الرحمن، 2012): روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب.
- عبد السلام زهران، حامد (2005): علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) ط6، عالم الكتب القاهرة.
- عجارم، جمعان سعيد(بدون): علم سلوك الحيوان/دخول2018/10/11. http: //fac.ksu.edu.sa/sites/default/files/lm_slwk_lhywn_pdfff.pdf
- عطاء الله أسماء عودة(2011): دور التربية الإسلامية في الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تعزيزه من خلال المؤسسات التربوية دراسة ماجستير منشورة، جامعة غزة، دخول: 1439/5/2ه، موقع: http: //library.iugaza.edu.ps/thesis/101519.pdf
- فايز فوق العادة(1995): الذاكرة الكونية، أكاديميا انترناشونال، دمشق.
- مالك بدري (1995): التفكر من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، هيرندن، فرجينيا- الولايات المتحدة الامريكية)
- مسلم بن الحجاج (بدون) صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، بيروت دخول 2017/11/17، موقع :http //shamela. ws/browse. php/book- 9442#page- 17
- مجمع اللغة العربية(2011): المعجم الوسيط، ج1، ط5مكتبة الشروق الدولية. القاهرة،
- منور، هشام أسامة (2005): الفطرة في ضوء مصادر التشريع الإسلامي ومقاصده رسالة ماجستير منشورة – جامعة دمشق –كلية الشريعة دخول 1439/5/3ه، موقع: http: //thesis.mandumah.com/Record/174923
- النادر، انس (2011) الفطرة الإلهية وأشكال الحضارة، دراسة نفسية وفلسفية في سلوك وحضارة الإنسان، دار كنعان، دمشق، ص9- 11، 73
- يحيى، هارون (بدون): معجزة النبات: https: //www.kutubpdfcafe.info/book/7246.html

ثانياً/ الكتب المترجمة:

- الفرد ادلر (2005): الطبيعة البشرية، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة: الإسكندرية.
- اليكسيس كاريل، 2003): الإنسان ذلك المجهول تعريب: شفيق أسعد فريد، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت
- برتراند راسل(2013): العلم والدين، ترجمة رمسيس عوض، دخول 2017/4/29، موقع .http: //www. alghad com/articles/526059-
- بيتر. هـ. ريقن وآخرون، (2014): علم الأحياء، ترجمة شتيوي صالح العبد الله وآخرون، العبيكان، الرياض، نيويورك، ص108
- جوجرس وآخرون، 2016، العلم وأصل الإنسان، ترجمة مؤمن حسن، ط2، مركز براهين للأبحاث والدراسات، لندن)
- جون ديوي(1963): الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة محمد لبيب، مؤسسة الخانجي- القاهرة، وفرانكلين للطباعة والنشر:

ثالثاً/ المراجع باللغة الانجليزية:

- (ANDREW NEWBERG, M.D&(2016,): How God Changes Your Brain: An Introduction
- ToNeurotheology/21/12/2017https: //static1.squarespace.com/static/52402ca4e4b0b7dd2fafe453/t/57166abb22482e87df44b4d9/1461086907907/how- god- changes- your- brain.pdf
- Anna Rising and Jan Johansson(2014): silk formation process in spiders, journal PLOS Biology on 29http: //www.biologynews.net/archives/2014/08/05/how_spiders_spin_silk.html2018/1/29
- BBC(2014): Instinctive Behavior/23/12/2017
- http: //www.bbc.co.uk/bitesize/ks3/science/organisms_behaviour_health/behaviour/revision/4/
- Elizabeth D. Hutchins, Glenn J. Markov,(2014): Transcriptomic Analysis of Tail Regeneration in the Lizard Developmental and Repair Mechanisms 29/1/2018 http: //journals.plos.org/plosone/article?id=10.1371/journal.pone.0105004
- Grasso, P. ; Gangolli, S. ; Gaunt, Ian (2002). Essentials of Pathology for Toxicologists. CRC Press. ISBN 978- 0- 415- 25795- 4. Retrieved 30 August 2011 .
- Janeway, Charles; Paul Travers; Mark Waldport; Mark Shlomchik (2001). Immunobiology; Fifth Edition. New York and London: Garland Science. ISBN 0- 8153- 4101- 6 ..http: //www. Marefa. org/%D8%B1%D9%8A%D9% . 2017/8/1-
- Jeffrey C. Hall, Michael Rosbash and Michael W. Young(2017): molecular mechanisms controlling the circadian rhythm
- https: //www.nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/2017/press.pdf22/1/218
- Kris,(2017): Health Benefits of honey 6/3/2018
- https: //www.healthline.com/nutrition/10- benefits- of- honey

- Murphy, Erin (2017- 10- 13). "Forensic DNA Typing". Annual Review of Criminology. doi: 10.1146/annurev- criminol- 032317- 092127. ISSN 2572- 4568.
- / https: //en.wikipedia.org/wiki/DNA_profiling
- Leendert C. van Loon, 2016: The Intelligent Behavior of Plants pdf, 10/1/2018 http: //www.cell.com/trends/plant- science/pdf/S1360- 1385(15)00289- 7.pdf
- (Sokolowski, Katie 2012). Wired for behaviors: from development to function of innate limbic system circuitry. Frontiers in molecular neuroscience 1662, p. 55رابط 2017/4/2دخول .https: //en. Wikipedia. org/wiki/Instinct#cite_ref- 14
- Michael Mosley (2011): Facial Development, 11. 10. 2018
  http: //www.bbc.co.uk/programmes/p00gqvxl
- Oppenheim, RW (1981). Neuronal cell death and some related regressive phenomena during neurogenesis: a selective historical review and progress report. In Studies in Developmental Neurobiology: Essays in Honor of Viktor Hamburger: Oxford University Press. pp. 74–133. Bouchard, Thomas J, 2013سبتمبر27دخول
- Pinker, S. (2007). The Language Instinct (1994/2007). New York, NY: Harper Perennial Modern Classics .
- Wang, K; Grivennikov, SI; Karin, M (2013). "Implications of anti- cytokine therapy in colorectal cancer and autoimmune diseases". Ann. Rheum. Dis. 72 Supple 2: ii100–3. doi:
- sdfsc- enews.org(2017): Instinctive Behavior/23/12/2017 http: //iceskatingresources.org/InstinctiveBehaviors.html
- 10. 1136/annrheumdis- 2012- 202201. PMID 23253923.
- Phys. Org: (2005). The Role of Titanium in Hydrogen Storageو phys. Org)2017/4/29 دخول : https: //phys. org/news/2005- 09- role- titanium- hydrogen- storage. html
- Ron .S& Nick. W, 2013: Roles of implicit processes: instinct, intuition, and personality June 2014, Volume 13, Issue 1, | Cite as25/2/2018
  . https: //link.springer.com/journal/11299
- Toga, Arthur W.; B.S., M.S., Ph.D. (2006). "Brain". MSN Encarta. Microsoft Encarta Online Encyclopedia/21/12/2017
  https:ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%BA_%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D9%8A#cite_ref- msnencarta_1- 1
  51- - Smith, RJ; Koobatian, MT; Shahini, A; Swartz, DD; Andreadis, ST (2015). "Capture of endothelial cells under flow using immobilized vascular endothelial growth factor". Biomaterials51. 303–12. doi: 10.1016/j.biomaterials.2015.02.025. PMC 4361797 . PMID 25771020
- 23/3/2018https: //en.wikipedia.org/wiki/Cell_signaling#cite_note- 4